القرانصة ودورهم عصر المماليك الجراكسة

٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م.

د/ ميرفت عثمان

كلية التربية – جامعة عين شمس

علي الرغم من الدراسات الكثيرة والمتنوعة التي حظي بها تاريخ سلاطين المماليك في مصر إلا أن المجال لا يزال خصباً لدراسات أخري جادة تحتاج إلي بحث ودراسة، وبخاصة فيما يتعلق بالجانب الحربي والذي أثر بصفة خاصة في تشكيل تلك الدولة فهناك بعض فئات الجنود المماليك لم تتحدث عنهم الكتب والمراجع بإسهاب، ولذلك نحاول بقدر الإمكان جاهدين تعريف هذه الفئة التى كان لها الدور الفعال في هذا العصر خاصة، وإن كانت القرانيص سببا في نهاية دولة المماليك والتي تواصل وجودها لأكثر من قرنين ونصف القرن من الزمان.

والقرانيص[١] أو القرانصة هم فريق من الجيش المملوكي في مستوي أمراء الخمساوات، وهم كما وصفهم ابن شاهين القديمو الهجرة، وقد كان القرانصة أقل مالاً ورجالاً، إلا أنهم أفضل بكثير في أعمال الحرب، وأعرف بتصريف الأمور، غير أنهم ظلوا في إمرتهم دون ترقية، وهذا هو السبب في أن هذا الفريق ظل حانقا كثير الثورات وظلت القرانيص عنصرا للفتن والخيانات حتي في العصر العثماني [٢] كما يتضح من الورقات التالية .

---

(١) القرانصة أو القرانيص: هم المماليك القدامى أما المماليك الجدد فيقال لهم المماليك الجلبان. دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص١٢٢، www.alwaraq.net خرز في أعلي الخف واحدها قرنوص. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج٧، ط ١، بيروت، ص ٧٣، العين، ج٥، ص ٢٤٩، طائفة من الأجناد دون المائة من المماليك قديمي الهجرة، أصحاب الأرزاق الثقال في منزلة أمراء الخمساوات ومنهم المرشحون للأمرة، ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص٧٠، حاشية ١، ابن شاهين، غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، صححه: بولس راويس، ، طبع باريس سنة١٨٩٣، ص ١١٥، وهي غير القراصنة لأنهم المماليك الذين تم شراؤهم من قراصنة السفن. دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، القاهرة ١٩٨٣م، ص ١٤٤، لم يكن السلطان يقتصر علي إنشاء للمماليك فكان يحصل علي مماليك السلطان سلفه، الذي توفي وعزل، أو قتل بالقصر أو بالشراء ويعتبرون من مماليكه ويسمون قرانصة أو قرانيص أو قرانص أو حتي مماليك سلطانية، كذلك كان السلطان يستولي علي مماليك الأمراء الذين يتوفون أو يغضب عليهم أو يقتلهم ويسمون سيفية. ابن اياس، أبوالبركات محمد ابن أحمد، بدائع الزهور، ج٣، ص ص ٥ – ١٠، ماجد، عبد المنعم، نظم سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، القاهرة سنة ١٩٦٤ م، ص١٤.

(٢) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٩ حاشية٧، ابن شاهين، غرس الدين خليل، زبدة كشف الممالك، ص ص١١٣ –١١٥، ابن إياس، أبوالبركات محمد ابن أحمد، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٧، الرمال، ابن زنبل، كتاب تاريخ السلطان سليم خان، ص ص ١٦ –١٨، الجبرتي، عجائب الآثار، ج ١، ص ٤٢٢– ٤٢٣، زيادة، محمد مصطفي، نهاية سلاطين المماليك، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ٤ مايو ١٩٥١م.

وقيل أنهم الفئة الثانية من المماليك السلطانية[١] وهم مماليك السلاطين السابقين[٢] وإن كان المفهوم الثاني أكثر شيوعاً في العصر المملوكي البحري (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)، ويمكن أن نضيف هنا علي ذلك أنه طبقاً لقول بوبر في نقده لبولياك، أنه قال (أن لفظ قرانيص له معنيان الأول هو قدامي المحاربين، أو هم الرجال الذين قاموا بخدمة طويلة في الجيش، والمعني الثاني هم مماليك السلاطين السابقين، بمعني أنهم كانوا محاربين قدماء بالنسبة للجلبان[٣] الذين لم تحنكهم الخبرة القتالية مثلهم)[٤]

ولم يكن القرناص في حاجة لأن يرتدى ملابس ثمينة، ويمتطي صهوة جياد مطهمة ليكبر قدره[٥] بل علي العكس، هذا وقد كان القرانصة يطلق عليهم في المصادر، قرانيص أو مماليك قرانيص أو سلطانية قرانصة، ومن الممكن أن يكونوا خشداشية[٦] للسلطان نفسه[١]

---

(١) ابن اياس، أبوالبركات محمد ابن أحمد، بدائع الزهور، ج١، ص ص ٢٧٣- ٢٧٤، العريني، السيد الباز، المماليك، ص ٥٣.، هذا وقد نشأت فئة القرانيص عادة من تحول المماليك المشتروات أو الأجلاب لسلطان ما بعد وفاته أو عزله إلى مماليك الجدد الذين يشتريهم السلطان الجديد، ولهذا فإن علاقة القرانيص القدامى مع الأجلاب الجدد كان أساسها العداء طوال عصر دولة المماليك الثانيه. راجع: محمد العمايره، الجيش فى العصر المملوكى الثانى، ص١٠٥.

(2) Ayalon, David, Studies on the structure of the Mamlouk Army ,I,B,S,O,A, Vol, 15,p2; Arnold,Thomas w, The Caliphat, london1965p.21

(٣) الأجلاب، هي فرقة من المماليك يشتري السلطان جنودها لنفسه، وهي قسم من فرقة المشتريات، ونتيجة لهذا ضعفت رابطة الأستاذية التي كانت تربط بين المماليك وسيدهم الذي كان له الفضل في تربيتهم وتدريبهم منذ نعومة أظافرهم كما تخلخلت أواصر رابطة الخشداشية التي تجمع بين المماليك في إطار زمالتهم في طائفة بعينها من طوائف المماليك، ومن ناحية أخري ضعفت سيطرة الأمراء والسلاطين علي أولئك المماليك الجلبان مما أدي إلي كثير من حوادث الشغب والاضطراب وحروب الشوارع التي كانت طرقات القاهرة وأزقتها مسرحاً لها، قاسم، قاسم عبده، عصر سلاطين المماليك، ص١٤٧، دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص١٢، ص٥٣ .

(٤) فهيم، محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي، ص ١٠١ .

(٥) ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٤٨٤، فهيم، محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي، ص ١٠١

(٦) الخشداش هو الزميل في الخدمة، والخشداشية هي رابطة الزمالة بين المماليك الذين نشأوا عند أستاذ أو سيد واحد. ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور، ص ٢٥٠، و الخشداش: لفظ فارسي معناه الزميل في الخدمة، والخشداشية: هم الأمراء الذين نشأوا مماليك عند سيد واحد، فنبتت بينهم رابطة الزمالة التي تجمع المماليك في طائفة، وكان لهذه الرابطة أثرها في حوادث المماليك، ويرجع هذا الأثر إلي قلة الروابط بين المماليك، فكانوا يجلبون من مختلف أسواق النخاسة، وليس بينهم سوي ما يحدث لأحدهم من أمور وشؤون مثل أن ينشأ عدد منهم عند سيد واحد، قاسم، قاسم

يمكن القول أن القرانصة كانوا مماليك سلطانية[٢]، وعلي هذا النحو نستطيع أن نقول أن القرانصة كانوا ينتمون لأحد الأقسام الثلاثة هم، مماليك السلطان الحاكم، مماليك السلطان السابق، أو المماليك السيفية[٣] ، والسيفية هم المماليك الذين نقلوا في خدمة السلطان أو الأمراء بسبب موت سيدهم أو طرده أو نفيه[٤]

هذا وقد كان العصر المملوكى عصر عصبيات تقاسمت النفوذ والسلطان فيه عصبيات شتى، لكل سلطان عصبيته من المماليك السلطانيه، ولكل أمير عصبيته من المماليك الذين ارتبطوا به ودانوا له بالفضل واعتبروه استاذهم وولى نعمتهم، وبقدر ما تقوى عصبية الأمير بقدر ما يتمكن من مغالبة زملائه وأقرانه.

من الأمراء، بل من مغالبة السلطان نفسه وانتزاع دست السلطنه منه[٥]، كما حدث فى كثير من الحالات.

لذلك لا عجب إذا كثرت أسماء طوائف المماليك وعصبياتهم، فنسمع عن الصالحيه والمنصوريه والأشرفيه ...، ثم تتعدد الأسماء فى كتب التاريخ بتكرر ألقاب السلاطين فنسمع عن الأشرفيه خليل والأشرفيه برسباى، وهكذا ... ، وإذا كان السلطان شديد البأس كثير المماليك، فإنه يستطيع أن يكتم انفاس المماليك الآخرى المنسوبه إلى السلاطين السابقين أو الأمراء القائمين، أما إذا كان السلطان ضعيفاً قليل الحيله، فمعنى ذلك إحتدام المنافسات بين طوائف المماليك بعضهم وبعض من ناحيه آخرى، أو بعضهم والمماليك السلطانيه من ناحيه

عبده، عصر سلاطين المماليك، ط١، القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٤٠، دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ٦٨ – ٦٩

(١) ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف، حوادث الدهور، ص ص ٣٩٣ – ٣٩٤ ؛
David , Studies of the Structure , vol 16 , 1958 , p 74 Ayalon,

(٢) أحمد عبدالكريم سليمان، العنصرية وأثرها في الجيش المملوكي، القاهرة ١٩٨٨، ص ٤٩ .

(٣) السيفية: هم إحدي الفرق الثلاث التي تتكون منها فرق المماليك السلطانية، وهؤلاء السيفية هم المنسوبون للأمراء مقدمي الألوف، إلا أنهم نقلوا إلي الديوان السلطاني لسبب من أسباب النقل كوفاة أستاذهم أو نفيه أو قتله، ومن أمثلة السيفية الجكمية نسبة للأمير جكم والنوروزية نسبة للأمير نوروز، والفرقتان الأخريان من المماليك السلطانية :المشتروات أو الجلبان أو الأجلاب، والمماليك السلطانية المنسوبون للسلطان السابق وهؤلاء جميعاً يقيمون بطباق القلعة وهم أصحاب الجوامك والرواتب مشاهرة علي وجه العموم. ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ١٦١ حاشية ١، ابن شاهين، غرس الدين خليل، زبدة كشف الممالك، ص ٢٧ .

(٤) القلقشندي، أبى العباس على، صبح الأعشي، ج٤، طبعة بيروت، دار الكتب العلمية، ص ص ١٤–١٦، سليمان، أحمد عبدالكريم، العنصرية وأثرها في الجيش المملوكي، ص ٤٩، العريني، السيد الباز، المماليك، ٥٣،
D. Ayalon, the system of payment in Mamluk Military Society; p42, in Studies… N. VIII.

(٥) سعيد عبدالفتاح عاشور، العصر المماليكى فى مصر والشام، ص١٤٠. –

آخرى، وبذلك تستمر البلاد غارقه فى حاله من الفوضى حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا[١]، ومن الطبيعي نظراً لأنهم كانوا في خدمة سادة مختلفين، فمن الطبيعى أن لا تكون لديهم مبالاة تجاه بعضهم البعض، وكانوا يفتقرون إلي عامل الولاء الذي يوحدهم، وقال عنهم المؤرخون عموماً، أنهم يتبعون الغالبية، ولم يكن منهم من يرتبط بسلطان معين، وكان شعارهم الذي يتزوج أمي سأقول له ياعمي[٢]، ورغم كل ذلك فقد كانوا أحياناً يعاملون معاملة سيئة بواسطة المماليك الجلبان[٣]

ومهما يكن من أمر فإن القرانصة عامة هم أنفسهم مماليك السلاطين السابقين وهو ما تدعمه مصادرنا فيقول ابن زنبل: فإنه كان مجتهداً في تعليم الجلبان، وكان قصده أن ينشأ له عسكر من مماليك مشترواته، ويقطع القرانصة مماليك المملوك الذي قبله[٤] أما ابن شاهين الظاهري، فهو وحده الذي يسمي القرانصة باسم الأجناد القرانصة، ويعود ما يقرره الظاهري إلي أنه في أيامه كان القرانيص لا يتعدون المائة[٥]

ويبدو أن هذا الكلام غير صحيح، ذلك لأن الدور الذي كان يلعبه القرانيص كخصوم للأجلاب، وأنهم معدون للقتال، يتعارض مع فكرة أنهم كانوا قليلي العدد، هذا فضلاً عن أن المصادر تزودنا بمعلومات لا شك فيها عن عدد القرانيص، وكذلك يذكر الظاهري نفسه أن القرناص هو قديم الهجرة[٦]

ومن هنا يتضح التشابه بين لفظ كبير وقديم الهجرة، فالأخير القديم الهجرة يسمي أيضاً أمير كبير[٧]، أو أكابر الأمراء، أو من الأمراء الكبار، والأمراء الذين كان يطلق عليهم هذا الاسم كانوا أحياناً أمراء خدموا مدة طويلة، أو كانوا يشغلون مناصب عالية (أو علي الأقل في مركز شرفي غير محدود)، وأصبحوا بدون وظيفة[٨]

---

(١) سعيد عاشور، المرجع السابق، ص ١٤٠

(٢) Ayalon , Studies of the Structure , vol 16 , 1958 , p 74.

(٣) السخاوي، التبر المسبوك، ص ٤١، ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف، حوادث الدهور، ص ٥١٤، ابن اياس، أبوالبركات محمد أحمد، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٦٦٩، ج٣، ص ٢٣١، فهيم، محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي، ص١٠١.

(٤) الرمال، ابن زنبل، تاريخ السلطان سليم، ص ٢٦ .

(٥) ابن شاهين، غرس الدين خليل، زبدة كشف الممالك، ص ١١٥ .

(٦) فهيم، محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي، ص ١٠٢.

(٧) رتبة عسكرية في الجيش المملوكي من مقدمي الآلاف، وقد يتولي نيابة السلطنة أو أتابكية العسكر، ويلي الأتابك بالرتبة، وهو رئيس السلاحدارية. دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص٢٢.

(٨) فهيم، محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجيش المصري، ص ١٠٢ .

هذا ويمكن القول أن كلمة أمير كبير لها أهمية خاصة، فقد كان هذا اللقب سابقاً لكل قديم باب الهجرة في الخدمة أو في الشيخوخة ويكون قد شغل منصباً كبيراً في الدولة سابقاً، أو خدم مدة طويلة، ونتيجة لهذا كانت هناك مجموعة من الأمراء، كان يسمي كل واحد منهم أميراً كبيراً، وظل الحال علي هذا النحو طوال العصر المملوكي البحري، وحتي أيام الجراكسة إلي أن تغير الحال أيام شيخون العمري[١]، وحينئذ خصص لقب أمير لأتابك العسكر[٢] وكذلك نجد كثيراً من الكلمات مثل أكابر أو كبار أو كبار الأمراء وذوي السن من أكابر الأمراء[٣]

مجمل القول أن القرناص بمعني قديم الهجرة هو التعريف الصحيح والدقيق لهذه الكلمة[٤]، وتعد فرقة المماليك الظاهريه برقوق أولى فئات القرانيص التى نشأت فى دولة المماليك الثانيه[٥]، وتميزت بصراعها مع السلطان فرج بن برقوق طوال عهده[٦]، وساندت هذه الفرقه أستاذها الأمير ططر فى خلع السلطان أحمد بن شيخ وسلطنته سنة٨٢٤ه/١٤٢١م، كما انضمت إلى جانب الأمير برسباى حتى وصل إلى السلطنه[٧]

ومن الجدير بالذكر أنه يمكن أن نحدد بدقة وضع القرانصة بالنسبة للمشتروات في حالات ثلاث هي: في المعركة، وفي الراتب (الأجر) أي قيمة الرواتب، وتوزيع الإقطاعات، حيث نجد أن وضع القرانيص والمشتروات في ساحة القتال وضع مميز تماماً حيث يقع عبء

---

(١) الأمير شيخو العمري، توفي عام ٧٥٨هـ. الحنبلي، عبدالحي العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ١٨٣ .

(٢) ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٢٦٤، فهيم، محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجيش المصري، ص ١٠٢، لفظ تركي مركب من أتا بمعني أب، بك بمعني أمير أى الأب الأمير، وهي وظيفة تجعل لمن يشغلها وظيفة مقدم العساكر وتجعل صاحبها من أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب والكفيل. القلقشندي، أبي العباس علي، صبح الأعشي، ج ٢، ص ١٨، ج٦، ص٥، ج١١، ص١٦٧ .

(٣) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، الخطط، ج٢، ص٢٠٠، القلقشندي، أبي العباس علي، صبح الأعشي، ج٤، ص ٤٤ .

(٤) فهيم، محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجيش المصري، ص ١٠٣.

(٥) لاشك فى أن البلاد قاست كثيراً فى عصر دولة المماليك الجراكسه من جراء المنازعات المستمره بين طوائف المماليك وفرقهم، وما كان ينجم عن تلك المنازعات من حوادث وقتال فى الشوارع، مما أوجد جواًمن الفزع والرعب وعدم الاستقرار فى البلاد، وزاد من البلاء أن السلاطين عجزوا فى ذلك العصر عن كبح جماع مماليكهم. راجع سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص ١٥٩.، Lane Pool: Ahistory of Egypt ,PP 325-326

(٦) راجع ؛المقريزى، السلوك، جـ٣، ق٣، ص ص٩٨٧-٩٨٩.،

(٧) راجع: بن تغرى بردى، النجوم الزاهره، جـ١٤، ص٢١١-٢١٢-٢١٤-٢١٧، محمد سالم العمايره، الجيش فى العصر المملوكى الثانى سنة ٧٨٤ه/٩٢٣ه، ط١، سنة٢٠١٠م، ص ص١٠٥-١٠٦.

الحرب كلها علي القرانيص أو علي أصح تعبير علي عاتق مماليك السلاطين السابقين، وخاصة المماليك القرانصة للسلطان الذين ينتمون سبقه مباشرة[١]

وفي الواقع أن الأجلاب في بعض المعارك كانوا يتراخون في القتال بالنسبة للأجناد والقرانيص، وإن كان ذلك لم يظهر في بداية دولة المماليك، حيث أن تلك الدولة قامت علي الانتصارات الحربي، وإن كنا نجد في ذلك أن الجيش المملوكي كان متأثرا برغبة السلطان فى أن يجنب مماليكه القتال[٢]

أما عن الرواتب (الأجور) أو قيمة الرواتب للقرانيص والمشتروات فقد كانت هناك فوارق عجيبة في المعاملة المالية بين القرانيص والجلبان، فكان القرانيص يتسلمون نفقه أقل بكثير إذا قورنت بالنفقة التي كانت تصرف للجلبان بالرغم من المسئولية التي كانت ملقاة علي عواتقهم، وإن كانت هذه التفرقة أقل بكثير مما كان يحدث للسيفية الذين كانوا كثيراً ما لا يتسلمون رواتبهم ومستحقاتهم علي الإطلاق، مما كان يثير التمرد بين صفوفهم، هكذا نجد كيف كان القرانيص والسيفية يعاملون معاملة سيئة فيما يتعلق برواتبهم، في حين أنه كانت تصرف كل مخصصات الجلبان بالكامل[٣]

أما بالنسبة لتوزيع الاقطاعات[٤] فيقال أن الأولويه كانت للقرانيص في الحصول علي الإقطاعات، وهذا الرأي يتعارض مع رأى بولياك، فما حدث بالفعل هو أن الأجلاب كانوا

---

(١) كان في بعض الحالات يعتبر أسلوب للتخلص منهم أى القرانيص. ابن إياس، أبو البركات محمد أحمد، بدائع الزهور، ج٥، ص ٩٧، الرمال، ابن زنبل، تاريخ السلطان سليم، ١٣، فهيم، محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجيش المصري، ص ١٠٣ .

(٢) محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجيش المصري، ص ١٠٣.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٣٥٨، ابن تغري بردي، ، المنهل الصافي، ج ٣، ص ٣٥٨، فهيم، محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجيش المصري، ص ١٠٤؛
Ashtor,Eliyaho ,histoir des prix et des Salaires dans L orient Medieval,paris,1969 .

(٤) المقصود بالإقطاع هنا هو ما يتحصل من غله نقداً و عيناً من أراضى زراعية أو جهة من جهات الإيراد، ويعرف هذا النوع من الفقهاء المسلمين بإقطاع الإستغلال من مال الخراج أو الجزية وتقدير الخراج، سواء بالمقاسمة أو على المساحة فضلاً عن مدة الإقطاع، وحال المقطع أثناء بقاء الإقطاع من حيث السلاطين والمرضى والموت: الماوردى، الأحكام السلطانية، ص١٧٢-١٧٣ عن الباز العرينى، المماليك، ص١٦٨، ذكر الدكتور سعيد عاشور، عن الإقطاع ما ذكره الدكتور الباز العرينى والماوردى وقد كان له نفس الرأى حينما قال أننا لا نقصد بالإقطاع مساحه الأرض من حيث الإتساع أو عدم الاتساع، إنما هو فى عرف العصور الوسطى مصطلح قصد به طريقة حيازة الأرض وأسلوب إستغلالها، ومدى هذا الاستغلال والحقوق والواجبات المترتبة على هذا الاستغلال، دون أن ترتبط بهذا كله مساحة الأرض، فقد يكون كبيراً يشمل زمام عده قرى وقد يكون صغيراً لا يتعدى جزءاً من زمام قرية واحدة، وقد يكون بين هذا وذاك، عاشور، سعيد، الفلاح والإقطاع فى عصر الأيوبيين والمماليك، ص٢١٤، أما

يستولون علي إقطاعات القرانيص، ولم يتورعوا في سبيل ذلك عن القتال والأساليب الملتوية[١] وكانوا يفعلون ذلك دون أن يعارضهم أحد، وربما كانوا يفعلون ذلك بتأثير مباشر من السلطان[٢]

والدليل علي ذلك عندما مرض أحد المماليك القرانصة، وكان في النزع الأخير، طمع بعض الأجلاب في أخذ إقطاعه بعد وفاته، ولكن هذا القرناص استعاد صحته، فقام الأجلاب بقتله وهو في طريقه إلي القلعة، وذلك ليستولوا علي إقطاعه، ولم يعاقب أي واحد منهم رغم أن الإقطاع أعطي لآخرين[٣]

وعرض مؤرخنا ابن إياس موقف أخر سيء للقرانيص، فقد وجد في سوق الغنم شخص من المماليك القرانصة وهو قتيل، وقد خنق بواسطة رقعة وعروة من أثوابه، ورمي علي قارعة الطريق، ولم يعلم من قتله، فقيل ذلك من فعل المماليك الأجلاب بسبب إقطاعه، وقد فعلوا مثل ذلك بجماعة كبيرة من المماليك القرانصة بسبب إقطاعاتهم، ولم يجرؤ أحد علي فعل أي شيء لهم، وقد اضطربت الأحوال في هذه الأيام إلي الغاية، وصارت المماليك تُقتل من أجل إقطاعاتهم، وإذا عرضوا من قتل علي السلطان يتثاقل[٤]

الدكتور إبراهيم طرخان فيذكر عن التنظيم الإقطاعى أنه مرحلة من مراحل التطور العام فى تاريخ الدولة الملكية منذ العصور الوسطى فى الشرق والغرب، وتختلف أصول التنظيم الإقطاعى وجذوره وأطواره بإختلاف البلاد والأزمنة والخصائص الجغرافية والبشرية. طرخان، إبراهيم، النظم الإقطاعية، ص٥، ابراهيم طرخان، النظم الاقطاعيه فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى، القاهره سنة ١٩٦٠.، ابراهيم على طرخان، الاقطاع الاسلامى، المجله التاريخيه المصريه، المجلد السادس، سنة ١٩٥٧م.

Hassanien Rabie; the financial system of Egypt (A.H564-741) A.D 1169-1341); London, oxford university press– New york Toronto ,1972, p133 , Carl.f.perty; theCambridge history of Egypt, Demombynes , la syrie a le paque des Memlouks De Sacy,Droit de propriete territorial en Egypt, lere serie,tomII. Lane-pool stanly, Ahistory of Egypt in the middle age,london1936., Sato Tsugitaka; the evolution of the Iqta system under the mamluks-and analysisof al-rowk al-husami and-al-rowkEl-nasiri' memoris of the research department of the toy Bunko,No37 tokyo ,1979. Wiet;(G) Histoir de la nation Egyptienne ,tom IV. L Egypt Arabe .

(١) ابن إياس، حوادث الدهور، ص ٢٢٤ .

(٢) محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجيش المصري، ص ١٠٤.

(٣) المقريزى، السلوك، ج١، ق١، ص٧ ص١٥٨– ٢١٢– ٣٤٦، عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، ص١٤٩

Poliak , Feudalism in Egypt , Syria , polastind and Lebanon ,p 235- 16 -19 – 21- 24 -27 , M.A.Cook (ed) studies in the Economic History of the middle East from the rise of Islam to the present day,London,1970.

(٤) العمري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيي، مسالك الابصار في ممالك الأمصار، تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد، ج ٢، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ص ٣٨، المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، الخطط،

مما تقدم يتضح لنا أن المماليك القرانيص لم يكونوا ينتمون الي مرتبة أو أقسام معينة في الجيش المملوكي، كما كانوا لا يحتلون مركزاً مرموقاً في سلطنة المماليك، برغم من كونهم جندا سلطانية[١] هذا ونجد أن العصر المملوكي الجركسي كان بمثابة عصر صراع وفتن واضطراب المسئول عنها المماليك القرانيص والأجلاب، وكان الدافع إلى الصراع هو التأخر في صرف النفقة والكسوة، أو بخسهم حقهم في صرف النفقة فتُصرف إليهم بالقليل عن حقهم، وتوضح الأحداث التالية لنا أسباب ثورة المماليك القرانيص بصفة مستمرة، ففي عام ٨٢٢هـ / ١٤٢٠م، اجتمع المماليك السلطانية بالقلعة، وبدأوا في التعدي علي الوزير والأستادار[٢] لتأخر عليق خيولهم، واستمروا علي ذلك إلي أن فرقوهم علي أن يُصرف لهم ما استحقوا[٣] فقد امتنعوا أيضاً عن أخذ الجامكية[٤] وأصبحوا يداً واحدة، وطالبوا بأن يُصرف لهم في هذه الدولة المؤيدية من بدايتها مثلما كان يُصرف في الأيام الظاهرية، من الكسوة واللحم، والسكر وغير ذلك، فتوقع الناس حدوث فتنة، لكنهم رضوا وسكن الشر [٥] .

يمكن القول أن تأخر صرف النفقة أو قلتها في المماليك وأخذهم لها كان يسبب اضطرابا مستمرا لمن يوزع النفقة سواء كان من الأمراء أو غيرهم ممن يتولون مهمة صرف النفقة عليهم، وفي عام ٨٢٤هـ /١٤٢٢م، بدأ الأمير نظام المُلك برسباي[٦] في النفقة علي

ص٣٥٠، السيوطي، جلال الدين، حسن المحاضرة، ص ١٦٦، ابراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ١٤٩، محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجيش المصري، ص ١٠٥ .

(١) محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجيش المصري، ص ١٠٥ .

(٢) وظيفة من وظائف أرباب السيوف يتولي صاحبها شئون بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان، وله مطلق التصرف في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوي، وما يجري مجري السلاطين وغيرهم. القلقشندي، صبح الأعشي، ج ٤، ص٢٠، ج٥، ص ٤٥٧ .

(٣) المقريزي، س السلوك، ج ٤، ق ١، ص٤٨٠ .

(٤) جمع جامكية وهي مرتب خدم الدولة من العساكر والموظفين، وهو لفظ فارسي مشتق من جامة بمعني اللباس، أي نفقات أو تعويض اللباس الحكومي، وقد ترد بمعني الأجر أو الراتب أو المنحة، والجمع: جامكيات، جوامك، جماكي. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٥١، ص٥٦، محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجيش المصري، ص ٩٥ هامش ١ .

(٥) المقريزي، السلوك، ج ٤، ق ١، ص ٤٨٠ .

(٦) هو أبو النصر برسباي الدقماقى الظاهري من عتقاء الظاهر برقوق. العليمي، مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبدالمجيد نباتة، ج ٢، عمان ١٩٩٩م، ص ٩٦. أخذ من بلاد الجركس وأبيع بالقرم ثم اشتراه بعض التجار وقدم به إلي الجهة الشامية فلما وصل إلي مدينة ملطية اشتراه نائبها الأمير دقماق المحمدي ثم أرسله إلي الملك الظاهر برقوق في جملة تقدمة هائلة ثم أعتقه برقوق وتنقلت به الأيام إلي أن صار ساقياً في دولة الناصر فرج وتنقلت به الأحوال إلي أن صار سلطاناً عام ٨٢٥هـ فتحت في أيامه عدة فتوحات

المماليك، وهو والأمراء علي تخوف من أن يمتنعوا من أخذها[١]، وذلك لأنهم وعدوا في نوبة جانبك الصوفي[٢] بمائة دينار لكل واحد، فلم يصرف لكل واحد منهم سوي خمسين ديناراً من أجل قلة المال، فإن الظاهر ططر أتلف المال الذي كان خلفه المؤيد شيخ حتي لم يبق منه غير ستين ألف دينار ومع ذلك فإنه زاد في نفقة المماليك المقررة بالديوان المفرد كل شهر ما يزيد علي عشرة آلاف دينار، فأحس الأمير صلاح الدين محمد الأستادار بالعجز واستعفى عن هذه المهمة، وعندما تسلم الأمير أرغون شاه الأستادارية واستقر استاداراً، أرهب الناس واشتد عليهم، وخشن جانبه حتي أُغلقت أسواق القاهرة ومصر عدة أيام خوفا من بطشه، وحتي يدُبر نفقة المماليك إتخذ عدة إجراءات مختلفة، فكتب بطلب المسئولين عن النواحي ليصادرهم[٣]، وقرر علي مباشري الدولة بأسرهم أموالاً يحملونها إليه فقرر علي بعض الوزراء ما قيمته ستة آلاف دينار، وبعضهم عشرة آلاف دينار، وعلي غيرهم من دونهم بحسب ما سولت له

منها ماغوصة قبرص (وهى فاماجوستا الحاليه) ثم بقية جزيرة قبرص وأسر ملكها جينوس. الحنبلي، عبدالحي عماد، شذرات الذهب، ج٧، ص ص ٢٣٨ – ٢٣٩، الشافعي، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق:عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، ج ٤، بيروت ١٩٩٨م، ص ٤٨؛
Lewis,Bernard,Historians of the Middle East,London,1962

(١) المقريزى السلوك، ج٤، ق ٢، ص ٥٩٤ .

(٢) يشبك من جانبك المؤيدي شيخ ويعرف بالصوفي صار بعد أستاذه خاصكيا ثم امتحن في الأشرف لكونه ممن اتُهم بمعرفة محل جانبك الصوفي حين هرب من سجن إسكندرية وعاقبة حتي أشرف علي الموت ثم نفاه ثم أعاده خاصكياً إلي أن عليه الظاهر بحصة في شبين القصر ثم عمله ساقياً ثم أمير عشرة ثم صيره من رءوس النواب وتوجه إلي الحجاز مقدماً علي المماليك السلطانية ثم عاد إلي أن رسم بنفيه إلي اليلاد الشامية ثم شفع فيه فأنعم عليه بتقدمة في حلب فأقام هناك إلي أن ولي نيابة حماة بعد عزل شاذ بك الجكمي ثم بعد أشهر نقل إلي نيابة طرابلس فدام بها وقدم في أثناء ولايته إلي القاهرة، ثم رجع، ثم طلب فقُبض عليه ونفي إلي دمياط ثم إلي الإسكندرية ثم أعيد إلي دمياط ثم طلب فأرسل إلي القدس ثم انعم عليه بأتابكية دمشق وسافر منها أميراً علي الركب الشامي ثم عاد إلا يسيراً. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج١٠، بيروت د.ت، ص ٢٧٠، فهو مدبر مملكة الملك محمد بن الملك الظاهر ططر الصالح بن الظاهر أبي الفتح. السخاوي، شمس الدين محمد، الضوء اللامع، ج ٧، ص ٢٧٤، بن تغري بردي، أبي المحاسن يوسف، مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، تحقيق :نبيل محمد عبدالعزيز أحمد، ج ٢، القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٤٨.

(٣) المصادرة هى عقوبة مقررة واجبة النفاذ هدفها المال سواء كان بالضمان أو بالمطالبة أو بالاستيلاء عليه بالقوة لصالح الدولة دون أن يكون للشخص المعاقب حق الاعتراض. الشربينى، البيومى اسماعيل، مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية عصر سلاطين المماليك، ج١، القاهرة سنة ١٩٩٧م، ص٢٣، وذكر بعض الباحثين أن المصادرة عمل تعسفى مجاف للعدالة ودليل على فساد الإدارة. عصفور، محمد بهجت مختار، المصادرة فى مصر المملوكية الإسلامية من الفتح الإسلامى حتى نهاية عصر المماليك، القاهرة سنة ١٩٩٠م، ص ص٣-٥.

نفسه، حتي اجتمع من ذلك نفقة المماليك، فأنفق في ثلاثة آلاف ومائتي مملـوك مبلـغ مائـة وستين ألف دينار، فأخذوا النفقة، وانفضوا بغير شر[١]

وعند تحليلنا للموقف السابق نجد أن المماليك بمختلف طوائفهم كانوا مصدر قلق مستمر بالنسبة للدولة خاصة إذا وعدتهم الدولة بالقيام بمهمة معينة وحددت لهم ما يتقاضـونه مـن أموال، واكتشفت بعد ذلك أنها غير قادرة علي النفقة عليهم بحسب ما حددته لهم، وذلك لعجز في خزانة الدولة وعدم تواجد المال المخصص لهذه النفقة، فخوفاً من ثورة هؤلاء المماليـك كان هناك من يدبر الأمور بطريقة أو بأخرى ويتخذ الإجراءات المختلفة حتي ينفـق علـي هؤلاء المماليك بمختلف طوائفهم ومن هؤلاء المماليك القرانيص أو القرانصة، وهم الأمـراء والمماليك الظاهرية برقوق والناصرية فرج بن برقوق، والمؤيدية، والنوروزية، والجكمية.

هذا إلي جانب ما حدث عام ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م، حُملت نفقـة المماليـك مـن حاصـل الأستادرار إلي قلعة الجبل، لتنفق فى المماليك علي العادة في كل شهر، فامتنعوا من قبضـها وطلبوا أن يزاد كل واحد منهم علي ماله مبلغ ثلثمائة درهم في كل شهر وكانوا قد طلبوا قبل ذلك زيادة أيضاً في النفقة فبلغت الزيادتان في الشهر نحو الخمسة آلاف دينار، وكـان قبـل رضائهم بذلك استطار شرهم، وخاف أعيان الدولة، ووزعوا ما في دورهم خوفاً من وقـوع الفتنة[٢].

هذا ويمكن القول أنه لولا خروج بعض الأمراء من حكام البلاد الشامية والحلبيـة عـن الطاعة، واضطرار السلطان لقتالهم، إلي جانب الطاعون العظيم الذي انتشر في البلاد العربية وغيرها سنة٨٣٣هـ / ١٤٣٠م، بالإضافة إلي ما اتسم به عهد برسباي من تـذمر المماليـك السلطانية[٣] بمن فيهم الأجلاب[٤] كما يطلق عليهم، والقرانيص وخروجهم عن الطاعة فـي كل قليل وكثير لكان هذا العهد من أفضل الفترات والعهود التي مرت بها الدولة الإسـلامية، هذا وقد كان للقرانصه دوراً هاماً عند خلع سلطان من السلطنه وتعيين آخر وذلك عندما تسنح

---

(١) المقريزى، السلوك، ج٤، ق ٢، ص ٥٩٥ .

(٢) المقريزي، السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ص ٨١٧– ٨١٨ .

(٣) هم أعظم الأجناد شأناً وأرفعهم قدراً وأوفرهم إقطاعاً، ومنهم تؤمر الأمراء رتبه بعد رتبه، وهم المماليك الـذين يشتريهم السلطان أو يبقيهم من مماليك السلطان السابق دهمان، معجـم الألفـاظ التاريخيـة فـي العصـر المملوكي، ص١٤٥.

Queteremere, E, Memoire Sur Legypt Hist, des sultan Mamloks de Legypt, 2 vol, paris 1837-1845

(٤) الأجلاب، هى فرقة من المماليك يشتري السلطان جنودها لنفسه، وهي قسم من فرقة المشتريات، وهم الذين جلبوا حديثاً. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ١٢، ص٥٣.

الفرصه لذلك والدليل على ذلك، أنه في عام ٨٤١هـ/١٤٣٧-١٤٣٨م، جمع السلطان الأشرف برسباى [١] الخليفة والقضاة الأربعة والأمراء وأعيان الدولة، وعهد بالسلطنة إلي ولده المقام الجمالي يوسف، وقد جلس السلطان بالمقعد الذي أنشأه علي باب الدهيشة المطل علي الحوش السلطاني، وقد أخرج إليه محمولاً من شدة مرضه وضعف قوته، ووقف بين يديه الأمير خشقدم اليشبكي مقدم المماليك[٢] السلطانية بالحوش، ومعه غالب المماليك السلطانية الجلبان والقرانيص[٣]

وقد التفت السلطان إلي الأمير خشقدم فى وجود المماليك السلطانية وأوصاهم بوصايا كثيرة منها، أن يكونوا في طاعة ولده، وأن لا يغيروا علي أحد من الأمراء، وأن لا يختلفوا فيدخل فيهم الأجانب فيهلكوا[٤] ثم أخذ يُعرف الجميع القرانيص والجلبان، وأنه كان عندهم ضيفاً وقد أخذ في الرحيل عنهم وبكي وأبكى الناس وعظم الضجيج، ثم أمر لهم بالنفقة لجميع المماليك السلطانية قاطبة فقبل الجميع الأرض وضجوا له بالدعاء، وفي الحال جلس كاتب المماليك واستدعي اسم واحد، وقد صُرت النفقة المذكورة حتي أخذ الجميع النفقة فحسن ذلك ببال جميع الناس [٥]، وفي العام نفسه منع السلطان المماليك من النزول من طباقهم بالقلعة إلي القاهرة، وذلك أنهم صاروا ينزلون طوائف إلي المواضع التي يجتمع فيها العامة للنزهة،

---

(١) حكم السلطان الأشرف برسباى مايزيد عن ستة عشر عاماً (١٤٢٢-١٤٣٨م) إمتازت بالاستقرار وقلة الاضطرابات على الرغم مما قاساه الناس فى ذلك العهد بسبب سوء الأحوال الاقتصاديه وسياسة برسباى الاحتكاريه، وقد مكن ذلك الاستقرار الذى نعمت به دولة المماليك السلطان الأشرف برسباى من القيام بمشروع حربى كبير هو غزو جزيرة قبرس وإدخالها فى نطاق التبعيه لسلطنة المماليك فى مصر. راجع: سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص١٦٩؛

Muir,Sir William , the Mameluk or slaves Dynasty of Egypt ,Amsterdam,1968, p33

(٢) هو الذي يتولي أمر المماليك للسلطان أو الأمير عن الخدم الخصيان المعروفين بالطواشية، ومقامه فيهم مقام أمير النوبة. دهمان، ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ١٤٢، هو أقرب الطواشية إلي السلطان ويشغل رتبة أمير طبلخاناه ويعاونه نائب برتبة عشرة وكان للأمراء أيضاً مقدمون للقيام علي شئون مماليكهم، وكان لمقدم المماليك أن يتحدث في شأنهم ويحكم فيهم .عاشور، سعيد، العصر المماليكي، ص ٤٧٤ .

(٣) ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ص ١٠٢- ١٠٣، ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٥، ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ص ص٢٥٠ – ٣٣٥، ماجد، عبد المنعم، نظم دولة المماليك، ج ١، ص ١٤، محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجيش المصري، ص ٢٨ .

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ١٠٣.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ١٠٤.

ويتفننون في العبث والفساد، من أخذ عمائم الرجال واغتصاب النساء والصبيان، وأخذ أقوات الباعة، وغير ذلك، فتم منعهم، ونزلوا عن عادتهم السيئة[١]

وعندما مرض السلطان الأشرف برسباي، امتنع عن الناس ولم يدخل إليه أحد من الأمراء، هذا والإرجاف[٢] يقوي والأمراء والمماليك السلطانية في حركة وقد صاروا فرقاً مختلفة الآراء والناس متخوفون من وقوع الحرب[٣]، وقد وزع الناس ما في دورهم وأخفي أهل الدولة أولادهم ونساءهم خوفاً من النهب، كل هذا والسلطان في حالة من الهذيان وانخفاض قواه وضعفها وكان غائباً عن الوعي فى أكثر الأوقات، وصار العسكر في هذا الوقت قسمين: قسم يقال عنهم أنهم قرانصة، وهم الظاهرية والناصرية والمؤيدية وكلمتهم متفقة علي طاعة الملك العزيز يوسف[٤] ابن السلطان الملك الأشرف برسباي، وأن يكون الأمير جقمق العلائى[٥] نظام الملك (مدبر المملكة)، كما قرره السلطان، وأنهم لا يصعدون إلي القلعة خوفاً علي أنفسهم من المماليك الأشرفية، والقسم الآخر المماليك الأشرفية سكان الطباق[٦] بالقلعه ورأيهم أن يكون الملك العزيز مستبداً بالأمر وحده وأعيانهم الأمير إينال شاد الشرابخانه[٧]، والأمير يخشى بك أمير أخور[١]، والأمير على بيه الخازندار[٢]، والأمير

---

(١) المقريزي، السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ١٠٢٧ .

(٢) رجف الرجفة الزلزلة وقد رجفت الأرض من باب نصر والرجفان بفتحتين الاضطراب الشديد، والإرجاف واحد أراجيف الأخبار وقد أرجفوا في الشيء أ خاضوا فيه. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، ج١، ط١، بيروت ١٩٩٧م، ص ٩٩. والإرجاف قيل أنه الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب. مصطفي، إبراهيم وأخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ج ١، ص ٣٣٢.

(٣) المقريزى، السلوك، ج٤، ق ٢، ص ١٠٤٧ – ١٠٤٨ .

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ١٠٦.

(٥) هو جاركسي الجنس أخذ من بلاده صغيراً، جاء إلي القاهرة أقام بها مدة بسيطة، وتعارف مع أخيه جاركس القاسمي المصارع، وكان جاركس من أعيان خاصكية أستاذه الملك الظاهر برقوق فأخذه برقوق وأعتقه ثم ترقي في المناصب خاصكياً واستمر خاصكياً إلي أن مات الظاهر برقوق، وصار ساقياً في سلطنة الناصر فرج ثم أخذ يتولي مناصب مختلفة فى دول ملوك مختلفة ثم أصبح أتابك العساكر بالديار المصرية إلي أن مات السلطان الأشرف برسباي عام ٨٤١هـ / ١٤٣٩م، بعد أن أوصي جقمق هذا علي ولده وجعله مدبر مملكته إلي أن صار من أمره ما رقاه إلي السلطنة. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ص ٢٥٨ –٢٥٩– ٢٦٠ .

(٦) الطباق مفردها طبقة وهي ثكنات المماليك بقلعة الجبل وكانت كل طبقة تضم المماليك المجلوبين من بلد واحد. دهمان، ، معجم الألفاظ التاريخية، ص ١٠٥. www.arab-ewriters.com

(٧) شاد أو مشد هو الذي يتولي العمل المخصص بالكلمة التي تساق إلي هذا اللفظ، وشاد القصر٠ هو الذي يتولي أعمال القصر. القلقشندي، صبح الأعشي، ج٤، ص١٠، وقيل أنه هو المفتش والشرابخاناه بيت الشراب ويحوي

الجقمقي أستادار الصحبة[٣]، والأمير قرقماس قريب السلطان، وهذه الطائفة الأشرفية مختلفة بعضها على بعض، ولما اشتهر أمر هذين الطائفتين وشنعت القالة عنهما، قام عظيم الدولة القاضي زين الدين عبدالباسط في لم هذا الشعث، وإخماد نار الفتنة ليصلح بين الفريقين، ووافقه على ذلك الأمير إينال الأبوبكري الأشرفي شاد الشراب خاناه، فاستدعي سكان الطباق من المماليك إلي جامع القلعة وأرسل إلي القضاة فلما تكامل الجمع ما زال بهم حتي أذعنوا إلي الحلف، فتولي تحليفهم القاضي شرف الدين الأشقر نائب كاتب السر[٤] علي الإقامة علي طاعة الملك العزيز، والإتفاق مع الأمير الكبير جقمق، وأن لا يتعرض أحد منهم لشر ولا فتنة، ولا يتعرضوا لأحد من الأمراء المقيمين بديار مصر[٥]، ولا إلي الأمراء المجردين ولا إلي كفلاء ممالك الشام في نفس ولا مال، ولا رزق، فلما حلف الأمير إينال والأمير علي بيه، والأمير تمرباي الدوادار[٦]، وعامة المماليك، حلف القاضي زين الدين عبدالباسط أن

مختلف أنواع الأشربة ومنها الأدوية التي يحتاج إليها السلطان، والشاد هو الذى يفتش عليها. عاشور، سعيد، العصر المماليكي، ص ص ٤٤٨ – ٤٤٩.

(١) أمير أخور: هو المشرف علي إصطبل السلطان وخيوله ويسكن باصطبل السلطان أو الأمير ورعاية ما فيها من خيل وحيوانات. المقريزي، السلوك، ج١، ص ٢٣٨ حاشية٣، دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ٢٠، وهو لفظ مركب من لفظين أحدهما عربي وهو أمير والآخر فارسي وهو آخور بمعني معلف فيكون المعني أمير المعلف، أمر الدواب. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٨، ج ٥، ص ٤٦١، السبكي، تاج الدين عبدالوهاب، معيد النعم ومبيد النقم، بيروت ١٩٨٣م، ص ٣٧ .

(٢) الخازندار: هو المشرف على خزائن السلطان من نقد وأمتعة. راجع: سعيد عبد الفتاح عاشور العصر المماليكي ص٤٣٢.

(٣) وظيفة من وظائف أرباب السيوف يتولى صاحبها شئون بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان وله مطلق التصرف في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوي وما يجري مجرى ذلك من المماليك وغيرهم. راجع القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠، ج٥، ص٤٥٧، العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ص١١٨، سعيد عاشور، العصر المماليكي، ص٤١١.

(٤) هو صاحب ورئيس ديوان الإنشا، ووظيفته اختصاصها قراءة الكتب الواردة علي السلطان، وكتابة أجوبتها، وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها، والجلوس بدار العدل لقراءة القصص (الطلبات – والإستدعاءات) والتوقيع عليها ومشاركة الوزير في بعض الأمور مع التحدث في أمور البريد، ومشاركة الدوادار في أكثر الأمور السلطانية وكان رئيس ديوان الإنشا يتولي هذا المنصب، وهو أول من يدخل علي السلطان، وأخر من يخرج من عنده، ويعبر عنه أحياناً بكاتب الأمراء. القلقشندي، صبح الأعشي، ج٤، ص ١٩، ج٥، ص ٤٦٢، السبكي، معيد النعم، ص ٢٥، دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ١٢٧– ١٢٨ .

(٥) المقريزي، ، السلوك، ج٤، ق ٢، ص ١٠٤٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ١٠٧ – ١٠٨.

(٦) الدوادار هو الذي يحمل دواة السلطان الأمير، ويتولي أمرها مع ما ينضم لذلك من الأمور اللازمة لهذا المعني من حكم وتنفيذ أمور وغير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال، والدودارية: وظيفة موضوعها نقل الرسائل والأمور عن

يكون مع الفريقين، ولا يباطن طائفة علي الأخري، ثم قام الجميع، وقصد القاضي زين الدين دار الأمير الكبير جقمق، ومعه عدة من أعيان الأشرفية، حتي حلفه وحلف بعده من بقى بمصر من الأمراء ثم نزل بعد ذلك الأمير إينال ثم الأمير علي بيه إلي الأمير الكبير جقمق، وقبل كل منهما يده، فابتهج بهما وسكنت تلك الثائرة [1] التى كادت أن تؤدي إلي فتنة .

هذا وقد كان دائماً يتوقع الشر من المماليك والفتن، ولكن عندما تمت مراسم تقليد السلطنة للملك العزيز جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن الأشرف برسباي، كان يتوقع الفتنة يومها ولكن حدث عكس ذلك فقد باشر الناس بيعهم وشراءهم بالأسواق في أمان وسكون ونودي في القاهرة بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء، وأن يترحموا علي الملك الأشرف برسباي، وأن يعود للسلطان الملك العزيز جمال الدين أبى المحاسن، وأن النفقة علي المماليك مائة دينار لكل مملوك من المماليك[2] فازداد الناس طمأنينة، ولم يحدث شيء مما كان يتوقع من الشر[3]، ويبدو أن النفقة للمماليك بجميع فئاتهم كانت للقرانصة والأجلاب وغيرهم وأن عدم حدوث فتنة أو شر هو أن تمت فيهم النفقة وأخذ أموالهم.

وفي عام ٨٤٢هـ / ١٤٣٨-١٤٣٩م، تجمع مماليك السلطان الأشرف برسباي ويسمون المماليك الأشرفية بالقلعة يريدون قتل خشداشيتهم الأمير إينال الدوادار[4]، ففر منهم بحماية بعضهم له، ونزل إلي داره فوقفوا خارج القصر وسألوا الأمير الكبير جقمق أن يكون هو المستبد بالحكم، وأن تكف يد إينال وغيره، عن الحكم والتصرف، فوعدهم ذلك، فانفضوا ووقف في اليوم التالي جماعة من المماليك الأشرفية تحت القلعة بغير سلاح، فكانت بينهم وبين جماعة الأمير إينال مناوشات بالدبابيس، ثم عادوا مرة أخرى ليقفوا تحت القلعة وقد انقسم الجند إلي قسمين: أحدهما مع الأمير الكبير نظام المُلك جقمق، ويقال لهم القرانصة، وهم الأمراء والمماليك الظاهرية برقوق والناصرية فرج بن برقوق، والمؤيدية، والنوروزية، والجكمية، ومعهم طائفة من الأشرفية قد فارقوا إخوتهم وصاروا مع هؤلاء، وكل من الأمير

السلطان وعرض القصص والبريد وأخذ الخط السلطاني علي عامة المناشير. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ٧٧ .

(١) المقريزي، السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ١٠٥٠ .

(٢) المقريزي، السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ١٠٥٥ .

(٣) المقريزي السلوك، ج ٤، ق ٣، ص١٠٥٣- ١٠٥٤ .

(٤) الدوادار هو لقب الذي يحمل دواة السلطان، أو الأمير أو غيرهما ويتولي أمرها وينضم إلي ذلك من الأمور اللازمة لهذا المعني من حكم وتنفيذ أمور وغير ذلك، وهو اسم مركب من لفظين، أحدهما عربي وهو الدواة والمواد التي يكتب منها، والثاني فارسي وهو دار ومعناها ممسك الدواة. القلقشندي، صبح الأعشي، ج ٤، ص ١٩، ج ٥، ص ٤٦٢، السبكي، معيد النعم، ص ٢٥ .

الكبير جقمق ومن معه يظهر أنه في طاعة السلطان، وإنما يريد أن تنزل طائفة من الأشرفية إلي عند الأمير الكبير جقمق، فإنهم هم الذين يثيرون الفتنة، والقسم الآخر المماليك الأشـــرفية وهؤلاء بالقلعة مع السلطان الملك العزيز[١]، وعندهم الخليفة، وبأيديهم فـــي القلعـــة خـــزائن الأموال وحواصل السلاح الكثير، إلا إنهم أغمار جهال، لم يجربوا الأمور، ولا أدربتهم الأيام، فلا ينقاد صغيرهم لكبيرهم، وعلي الرغم من كون القرانصة أقل مالاً ورجالاً، إلا أنهم كـــانوا أفضل بكثير من الأشرفية بأعمال الحرب، وأعرق بتصريف الأمور، وقد انضموا إلي الأمير الكبير جقمق وانقادوا له، واجتمعوا معه علي الحرب، هذا وقد بدأ الأمير الكبير نظام الملـــك جقمق خطته بعدم الطلوع الي القلعة، وانتقل من داره المطلة علي بركة الفيل[٢] ونـــزل فـــي بيت قوصون تجاه باب السلسلة، وانضم إليه من وافقه من القرانصة، ومن الُزعر[٣] وأوغاد العامة[٤]،وقد وعدهم بالنفقة فيهم، وعندما سمع المماليك الأشرفية بذلك استعدوا لملاقاتهم، ثم زحف أتباع جقمق علي القلعة وقد لبسوا أسلحتهم وكانوا علي ما يبدو أقل من أهل القلعة في

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٢٣٥ .

(٢) كانت بركة الفيل تقع خارج باب زويلة بين القاهرة وفسطاط مصر وكانت منطقة خالية من المبـــاني، لـــم تكـــن بركة الفيل عميقة فيها ماء راكد بالمعني المفهوم الآن، وإنما كانت تطلق علي أرض زراعية منخفضة تغمرها ميـــاه الفيضان سنوياً ثم تنحسر عنها المياه وتنكشف الأرض وتزرع فيها المحاصيل الشتوية، وسبب تسميتها بركـــة الفيـــل يرجع إلي أن خماروية بن أحمد بن طولون أنشأ علي حافة البركة من الناحية الجنوبية الشرقية عنـــد شـــارع نـــور الظلام حالياً بيتاً للفيلة وكان الأهالي يقصدون البركة للنزهة والتفرج علي الفيلة فعرفت بهذا الأسم. محمـــد رمـــزى، القاموس الجغرافي، ق ١، ص ١٥٢. www.wikimapia.org

(٣) الزعر قلة الشعر والزعرة بتشديد الراء شراسة الخلق ولا فعل له والعامة تقول رجـــل زعـــر وفيـــه زعـــارة. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خـــاطر، ج ١، بيـــروت ١٩٩٥ م، ص ١١٤، .وقيل أنهم الشطار والعيارون. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الوسيط، تحقيـــق، طـــارق بـــن عوض، الحسيني، عبد المحسن بن إبراهيم، ج ١، ص ٣٩٣، الأزهري، أبومنصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغـــة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ج٢، بيروت ٢٠٠١م، ص ٨٠ .، الزعارة لغوياً شراسة الخلـــق وزعـــرور ســـيء الخلق، وقد استعمل هذا اللفظ في عصر المماليك للدلالة علي المفسدين وقطاع الطرق الذين يتعرضـــون للمـــارة ولا سيما في الأماكن المهجورة. المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١١٦، ابن تغري بردي، النجـــوم الزاهـــرة، ج١٥، ص ٢٣٧ حاشية ٢، الزعارة لغوياً شراسة الخلق وزعرور سيء الخلق، وقد استعمل هذا اللفظ في عصر المماليك للدلالة علي المفسدين وقطاع الطرق الذين يتعرضون للمارة ولا سيما في الأماكن المهجورة. المقريزي، الخطـــط، ج٢، ص ١١٦.

(٤) المقريزي، السلوك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ج ٧، بيروت ١٩٩٧م، ص٣٧٥.

العدد والعدة، فرماهم الأشرفية بالنشاب[١] حتي أبعدوهم، فمال القرانصة وأعوانهم نحو باب القرافة وهدموا جانباً من سور الميدان وعبروه، فنزلت طائفة من الأشرفية وقاتلوهم حتي أخرجوهم منه، فجاء الليل، وباتوا علي حذر وتخوف، وقد دخل الأشرفية الزردخاناه بالقلعة، وأخذوا من السلاح شيئاً كثيراً، ونصبوا مكاحل النفط علي سور القلعة، وظلوا علي ذلك مدة يومين فهلك بينهم من العامة بالنشاب والأسهم الخطائية[٢] جماعة، هذا والقضاة وغيرهم تتردد بينهم في إخماد الفتنة بإرسال أربعة نفر إلي الأمير الكبير منهم جكم خال السلطان، إلي أن أذعنوا بذلك بعد امتناع كثير، ونزل جكم ومعه الثلاثة المطلوبون ظناً من الأشرفية أنه لا يصيب جكم وأصحابه سوء، سوي أنهم يمنعون من سكنى القلعة فقط[٣] فما منهم إلا أن عبروا إلي الأمير جقمق، لكن جقمق أحاط بهم وسجنهم، ثم رحل بهم وبمن معه من بيت قوصون عائداً إلي دار سكنه علي بركة الفيل، فكان هذا أول ضعف وقع في الأشرفية، وقد أخذت الرسل تتردد من الأمير جقمق إلي الأشرفية بالقلعة في طلب جماعة أخري من الأشرفية حتي نزل إليه منهم الأمير علي بيه الخازندار، والأمير يخشباي أمير أخور، وهما من عظماء الأشرفية وأعيانهم، وفي الحال طلب الأمير جقمق الأمير خشقدم مقدم المماليك، وألزمه بإنزال جميع الأشرفية من الطباق، فاستسلموا بأجمعهم، ونزلوا طبقة بعد طبقة، وقد حضر القضاة وأهل الدولة[٤]، فحلفوا للأمير الكبير جقمق، وحكم قاضى القضاة سعد الدين سعد الديرى الحنفي بسفك دم من خالف منهم هذا اليمين. وزعم أن في مذهبه نقلاً بذلك، فكان هذا الحكم مما لا يعهد مثله. ثم أمر جميع المماليك الأشرفية بإخلاء طباقهم من القلعة إلا المماليك الكتابية فقط فما منهم إلا من بادر وحول ما كان له بطبقته من القلعة من أثاث وغيره، حتي خلت منهم فكان هذا من أعجب ما سمعنا به من الخذلان، فإن عددهم كان يبلغ ألفاً وخمسمائة وعندهم خزائن الأموال الجمة العدد، وحواصل الأسلحة العظيمة القدر في

---

(١) السهم الذي يعلق بالصيد لأنه سنن سهل الدخول صعب الخروج، كان هارون الرشيد أول من لعب من الخلفاء بالنشاب، ذلك بأن يطير طيراً في الهواء، أو يرمي غرضاً، أو يرفع علي رأس رمح أو نحوه، ثم يطلب إصابته بالنشاب وهي لعبة فارسية. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص١٥١.

(٢) الأسهم الخطائية، هي سهام تعلق علي رأسها مواد متفجرة محرقة، والظاهر أن استعمالها هو مبدأ استعمال البارود، والخطا هم جماعة من الترك القريبين من بلاد الصين، ومن هنا جاءت فكرة أخذ العرب استعمال البارود عن الصين، وهي تماثل قنبلة البازوكا في عصرنا. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٩٣.

(٣) المقريزي، السلوك، ج ٤، ق ٣، ص ١٠٧٥– ١٠٧٦ .

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٢٣٦ –٢٣٧ .

الكثرة والقيمة، وهم بالقلعة دار الملك وسرير السلطنة [١]، ومعهم السلطان ولهم من الأمتعة والأموال والنعم ما لا يقدره قدر، إلا أنهم كانوا أغمار جهالا، متفرقين في اجتماعاتهم، ومن هنا تبين زوال أمر الأشرفية، وزوال عزهم، وإقبال جد الأمير جقمق، وتجديد سعادته[٢] .

وكان سبب هذه الواقعة أن جكم الخاصكي خال السلطان اتفق هو وعدة من الأشرفية علي أن يقبضوا علي الأمير جقمق ومن معه من الأمراء، وعلي أخذ عبد الباسط وناظر الخاص[٣]، فلم يوافقهم الأمير اينال، ومنعهم من ذلك عدة مرات، فلما علم جكم بمخالفة اينال له أخذ يدبر مع أصحابه لقتل إينال فعندما أرادوا الإيقاع به فر منهم والتجأ إلي الأمير جقمق وقص عليه الخبر، وعندما تبين جقمق صحة هذا الخبر، اختص به جقمق، فكان هذا أول زوال دولة الملك ه القرانيص الذين وقفوا إلي جانبه ضد المماليك الأشرفية، وذلك لأنهم طلبوا

---

(١) القصود به تخت المُلك وسرير السلطنة هذا عبارة عن منبر من رخام بصدر إيوان السلطان وهو على هيئة منابر الجوامع إلا أنه مستند إلى الحائط، وهو المنبر يجلس عليه السلطان فى الأيام الهامة، القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤، ص ٧٠٦، وقيل أن السرير والمنبر والتخت الكرسى وهي أعواد منصوبة وآرائك منضدة لجلوس السلطان عليها مرتفعاً عن أهل مجلسه، وأول من إتخذه فى الإسلام هو معاوية بن أبى سفيان، وقد كان السلطان في المناسبات الأقل أهمية يجلس على كرسى من خشب مغشى بالحرير، إذا أرخى رجليه كادت أن تلحقا الأرض أو على طراحه وهي مرتبة مربعة صغيرة إذا جلس على الأرض خلفها مسند وقيل أنها من رسوم الْملك القديمه، الخالدي: كتاب المقصد الرفيع المنشا الهادى إلى صناعة الإنشا، تحقيق: خليل شحاده، رساله دكتوراة، كلية الآداب، جامعة القديس أبي المحاسن يوسف، بيروت، سنة ١٩٨٨م، ص٢٤، بن خلدون: عبد الرحمن بن جابر، مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، تونس، ص١٤٤.

(٢) المقريزي، السلوك، ج ٤، ق٣، ص ١٠٧٦، أثناء مرض السلطان برسباى وقف القرانيص من ثلاث طوائف تجمعت حتى ذلك الوقت وهى الظاهريه برقوق والناصريه فرج والمؤيديه شيخ بقيادة الأتابك جقمق ضد الأجلاب الأشرفيه برسباى الذين أصروا على سلطنة يوسف بن برسباى بعد وفاة والده واستغل القرانيص إنقسام الأشرفيه على أنفسهم وتمكنوا من قتالهم وهزيمتهم وتشتيتهم من الطباق وتعيين الأتابك جقمق سلطاناً، راجع: المقريزى، السلوك، جـ٤، ق٢، ص١٠٤٩-١٠٥٠، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهره، جـ١٥، ص١٠٥، محمد العمايره، الجيش فى العصر المملوكى، ص١٠٦.

(٣) ناظر الخاص: هو الذي يتحدث فيما هو خاص بمال السلطان من إقطاعه أو نصيبه من أموال الخراج وبلاد الجباية مما هو خارج عن الأموال العامة، أي ليس من الأموال العامة، ولم يستطع أن ينفذ أي أمر من الأمور إلا بأمر السلطان، وكان يعتبر من خاصة السلطان، وقد وكل إليه النفقات والكساوي وخلع الأمراء والجند والأضحية، وخلع عيد الفطر، وكساوي حرم السلطان، وأيضا كان من اختصاصه التحدث في أمر الخزانة السلطانية، وكانت بقلعة الجبل فقد مستودع أموال المملكة.

القلقشندي، أبي العباس علي، صبح الأعشي، ج٤، ص ٣٨، ابن اياس، أبو البركات محمد أحمد، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٣٤٩؛

Demombynes , la syrie a le paque des Memlouks, pp 71-72, Bjorkman, Beitrage zur Geschichte der staatskan-zelei im islamischen Agypten , p38

من السلطان جقمق الزيادة في جوامكهم ورواتب لحمهم[١]، ووقفوا تحت القلعة وقد تجمع عدد كبير منهم، وعندما رأى الأمراء ذلك نزلوا من خدمة السلطان فصاروا يجتمعون علي واحد منهم، ويذكرون له ما يريدون، إلي أن نزل الأمير الكبير الأتابك[٢] قرقماس فأحاطوا به وحدثوه، فوعدهم أن يتحدث مع السلطان، فأبوا أن يمكنوه من العودة إلي القلعة، وأرادوا أن يوافقهم علي محاربة السلطان[٣]، وساروا معه بأجمعهم إلي داره، وتلاحق بهم جماعة فلم يزالوا به حتي وافقهم بعد جهد منهم وامتناع منه[٤]، ولبسوا سلاحهم ولبس هو الأخر أيضاً، وأتاه كثير من الأشرفية وساروا به حتي وقف بالرميلة تجاه باب السلسلة، وكانت أرأوهم مختلفة فهناك من يقول الله ينصر الملك العزيز فإذا سمع ذلك قرقماس منهم قال الله ينصر الحق وآخرون سواهم يقولون الله ينصر السلطان [٥]،كل هذا وفي عزم الأشرفية إذا أخذوا السلطان بقرقماس قتلوا قرقماس في الحال وأقاموا العزيز وفي ظن قرقماس أن تكون السلطنة له، وحدث أنه لما خرج من داره وسمعهم ينوهون بالدعاء للعزيز، كشف عن رأسه في الشارع خارج باب زويلة ،بمرأى من العامة، ثم لما وقف بالرميلة سقطت درقته عن كتفه إلي الأرض[٦]، وعندما وقف تجاه باب السلسلة من القلعة سار بعض أتباعه ونادى في القاهرة علي لسانه بمجيء المماليك إلي الأمير قرقماس، وأنه ينفق فيهم مائتي دينار لكل واحد، وبمجيء الزعر[٧] إليه وأنه يعطي كل واحد منهم عشرين ديناراً فعظم جمعه حتي توهم كثير من الناس أن الأمر له، وكان عند السلطان عدد قليل من الأشخاص، فبادر بنزوله من القصر إلي المقعد الذي بجانب باب السلسلة، ومعه المال، بعث بجماعة للقتال، فوقعت الحرب بين

---

(١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٢٦٤.

(٢) الأتابك لقب تركي مؤلف من أطا أو أتا بمعني الأب أوالشيخ المحترم، وبك بمعني الأمير، والمعني العام: الأمير أوالوالد وقد أطلق أصلاً علي مماليك السلاجقة الذين أسندت إليهم مهام الدفاع عن البلاد، وتربية الفتيان السلاجقة، والنيابة في الحكم عن أرائهم، إلي جانب خدمة أسيادهم. معجم ألقاب أرباب السلطان، ص ص ١٥-١٦، ، ويمكن القول أن كامة أتابك معناها الأمير الأب كما وصفها القلقشندي، والتي صارت تعني في ذلك الوقت قائد الجيش علي اعتبار أنه أبو العسكر، إن هذا المعني يتفق وطابع دولة المماليك التي اعتمدت في الأول علي العلاقة بين الأستاذ ومماليكه. محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجيش المصري، ص ٣٠، وكان شائعاً أن يخلف السلطان علي العرش. ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم، تاريخ الدول والملوك، ج٧، بيروت ١٩٣٦/ ١٩٤٢م، ص ١٤٧.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٣، ص ١٠٩١ .

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص ٢٦٤ .

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص ص ٢٦٦- ٢٦٧.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٣، ص ١٠٩٢ .

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٣٧ حاشية٢ .

الفريقين مرارا وقد كان النصر لقرقماس ومن معه إلا أن بعض الأمراء فروا عنه، وصعدوا من باب السلسلة إلي السلطان[١] فسر بهم، ثم أقبل عدة أمراء، ووقفوا تجاه قرقماس في هيئة أنهم جاءوا ليقاتلوا معه، ثم اتجهت خيولهم بمن معهم ودخلوا باب السلسلة، وصاروا مع السلطان فازداد بهم قوة، هذا وقد دقت الكوسات السلطانية حربياً بالطبلخاناة من القلعة، وقامت المشاعلية [٢] علي سور القلعة تنادي من كان في طاعة السلطان فليحضر وله من النفقة، ونثر السلطان علي العامة ذهباً كثيراً، وصار يقف علي قدميه ويحرض أصحابه علي القتال، فأقبلت الفرسان نحوه شيئاً بعد شيء داخله في طاعته، وتركت قرقماس، والحرب مع هذا كله قائمة بين الفريقين ضرباً بالسيوف، وطعناً بالرماح إلا أن الرمي من القلعة علي قرقماس ومن معه بالنشاب كان كثيراً جداً، مع رمي العامة لهم بالحجارة في المقاليع لبغضها في قرقماس وفي الأشرفية، فتناقص جمعهم، فانهزمت الأشرفية بعد ما قُتل من الفرسان والرجالة جماعة، وجرح الكثير منهم[٣]

هذا وفي العام نفسه، وقبل العيد بيوم واحد حدثت بالقلعة أشياء وحركات مزعجة ومرج من تحت القلعة فصلي السلطان صلاة العيد بالقصر وهو علي تخوف، وقد وقف جماعة بالسلاح فصلتوا السلاح علي رأسه، حتي قضي صلاته، وبعد أن فرغ الناس من صلاة العيد جاء الخبر بأن الأمير اينال قد تسحب ليلاً فعظم الخطب وجل الأمر، وكان سبب ذلك أن الطائفة المؤيدية وهم من المماليك القرانيص لم يكن لها في أيام الأشرف برسباي حظ كبير منه فلما مات خافت المؤيدية من الأشرفية[٤]، وانضموا في هذا الوقت إلي الأمير نظام المُلك جقمق، وقاموا بأمره كما سبق أن ذكرنا وأخرج الأشرفية إلي السجن بالإسكندرية، وإلي الحجاز وإلي الصعيد فأهينوا بعد عزهم، واتضع جانبهم بعد رفعتهم ،وصارت المؤيدية هي المشار إليها، وإليهم الحل والعقد، فجدوا في الإغراء بالعزيز، كي يستريحوا من الأشرفية، فإنهم غير أمنين من ثورتهم وإقامة العزيز فلما قام الأمير اينال الجكمي بدمشق، ودعا للعزيز، وحلف أمراء دمشق علي طاعته وكان الأمير تغري برمش أيضاً ممن يميل إلي العزيز فشق ذلك علي المؤيدية وعلموا أنهم مقتولون شر قتلة[٥]، إن كانت للعزيز دولة، فأخذوا في التحريض علي قتله، حتي اشتهر أنه لما فرغ شهر رمضان أمضي فيه ما أرادوه

---

(١) المقريزي، تقي الدين، السلوك، ج٤، ق٣، ص١٠٩٣ .

(٢) المشاعلية: هم حملة المشاعل ويدعون أيضاً الضوية. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص١٣٩ .

(٣) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٣، ص١٠٩٣ .

(٤) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٣، ص١١١٩ .

(٥) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص ص ٣٠٢ -٣٠٣ .

ففر العزيز لما خامر قلبه من الخوف الشديد، وخاف الأمير اينال أن يُتهم به، واجتمع عنده في ليلة العيد عدة من الأشرفية[١]، فلم ينهض بشيء لخوره وضعف منه وتركهم وخرج من جانب داره علي بغل في ظلام الليل، ثم نزل من علي البغل ومشي علي قدميه، فلم يعلم خبره فلما بلغ السلطان تسُحبه، أمر فنودي بالقاهرة أن لا يتخلف أحد من المماليك الأشرفية، ثم نودي أيضاً بإصلاح الناس الدروب وغلقهم أبواب دورهم، وأن لا يخرج أحد إلي الشوارع بعد عشاء الآخرة، وغُلقت أبواب القاهرة قبل عادة إغلاقها من الليل، فكانت ليلة العيد ويومه من الأوقات النكدة، حتي كأنه ليس بعيد[٢]، ونودى بأن من وجد أحداً من غرماء السلطان وطلع به فله خمس مائة دينار وإقطاع، ومن غمز عليه أنه أخفي أحداً منهم حل ماله ودمه[٣]، هذا والمؤيدية قد تجردت للفحص عن العزيز وعن اينال، وعن المماليك الأشرفية في جميع الأماكن، وقبض علي الغلمان، حتي دلوهم علي أماكن بعضهم، وصاروا يكبسون الدور،والترب ،وديارات النصاري، والبساتين، وضواحي القاهرة ومصر، ويمرون بالليل في الأزقة متنكرين إلي غير ذلك من أنواع الفحص والتفتيش، فإنهم صاروا هم الدولة في الأيام الظاهرية[٤]

وفي عهد الملك الظاهر أبى سعيد جقمق[٥] وقعت فتنة عظيمة ٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م، وهو أن جماعة من المماليك السلطانية الجلبان الذين بالأطباق من قلعة الجبل صعد منهم طائفة كبيرة علي سطح الأطباق ورجموا الناس، ومنعوا الأمراء والخاصكية[٦] من الدخول إلي الخدمة السلطانية، وأفحشوا في ذلك، وبلغ الملك الظاهر الخبر، فأرسل إليهم بالأمير الطواشي

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٣، ص١١١٩ .

(٢) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٣، ص١١٢٠ .

(٣) ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص ٣٠٢ .

(٤) المقريزي، السلوك، ج ٤، ق ٣، ص ١١٢١ .

(١) كانت رغبة السلطان جقمق فى أن يحذو حذو برسباى ليحقق لنفسه مجداً يغطى به حقيقة اغتصابه للسلطنه من ناحيه، ويصرف أنظار المماليك عن المنازعات الداخليه ويوجه طاقتهم نحو الغزو والجهادمن ناحيه آخرى. راجع: سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص١٧٩.

(٦) لفظ مملوكي جمع مفرده الخاصكي، وهم نوع من المماليك السلطانية يختارهم السلطان من المماليك الأجلاب الذين دخلوا في خدمته صغاراً ويجعلهم في حرسه الخاص، وجعل هذا الأسم خاصاً بهم لأنهم يحضرون علي السلطان في أوقات خلواته وفراغه، وينالون من ذلك ما لا يناله أكابر المتقدمين، ويحضرون في طرفي كل نهار في خدمة الإصطبل والقصر، ويركبون مركوب السلطان ليلاً ونهاراً، ولا يتخلفون في قرب ولا بعد ويتميزون عن غيرهم في الخدمة بحملهم سيوفهم ولباسهم المطرز المزركش، ويتوجهون في المهمات الشريفة ويتأنقون في مركوبهم وملبوسهم. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٦٦

عبد اللطيف العثماني الرومي مقدم المماليك السلطانية في عمل مصالحهم فأبوا وصمموا علي إقامة الفتنة، وطلبوا ما لا يمكن عمله، واستمروا علي ما هم عليه بحيث أنهم منعوا الناس من الدخول إلي السلطان إلا النادر وصار أمرهم في زيادة علي أن المماليك القرانيص الذين بالقاهرة عليهم الظاهر وعلم الباطن إلي الله، واستمروا علي ذلك إلي أن كسروا باب الزرد خاناه السلطانية، وأخذوا منها شيئاً كثيراً من السلاح الهائل، وبلغ السلطان ذلك فطلب المماليك القرانيص إلي عنده من باب السلسلة وندبهم لقتال مماليكه الجلبان، فمنعه من حضر من الأمراء وخوفوه عاقبة ذلك، وأيضاً لم توافقه القرانيص علي ما ندبهم إليه لمعرفتهم أنه ما يهون عليه ذلك في أخر الأمر، كل ذلك والمماليك الجلبان تمنع الناس من طلوع القلعة، حتي أن السلطان طلب كاتب سره القاضى كمال الدين ابن البارزي فلم يقدر علي الطلوع من باب المدرج أحد أبواب القلعة فأراد الطلوع من باب الميدان الذي تحت القلعة فأراد الطلوع من باب الميدان الذي تحت القلعة ففطن به بعض المماليك الجلبان والقرانيص وضربه بالدبوس[١]، ووقع منهم في حق أستاذهم[٢] الملك الظاهر جقمق من الشناعة والبهدلة ما لا يزيد عليه، وسكنت الفتنة لاختلاف وقع بينهم[٣] وفي عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، حدث بين السلطان الملك المنصور عثمان[٤] وبين الأتابك إينال العلائى وقعة كبيرة وتفاصيل الأحداث أنه ركب جماعة كبيرة من أعيان المماليك الأشرفية ورافقهم جمع كبير من المؤيدية والسيفية ومن الظاهرية أيضاً وغيرهم من غير أن يلبس أحداً منهم السلاح، ووقفوا بالرميلة[٥] يريدون طلوع القلعة فتكاثرت المماليك عليهم واحتاطوا بهم وأخذوهم غصباً بأجمعهم، واجتمع المماليك ومعهم الأمراء في بيت الأمير الكبير إينال العلائي[٦]، وعظم جمعهم، أتاهم الأمراء والخاصكية والأعيان من كل مكان، حتي أصبحوا في جمع كبير، فأعلنوا عند ذلك بالخروج عن طاعة الملك المنصور، والدخول في طاعة الأمير الكبير إينال، والأمير الكبير يمتنع عن ذلك بلسانه، فلم يلتفتوا لتمنعه، فأخذوا في لبس السلاح، وعندما حضر الخليفة أظهر الميل

---

(١) الدبوس: والجمع دبابيس وهي عصا من خشب أو حديد في رأسها شيء كالكره، المنجد في اللغة والإعلام، ص ٢٠٦، ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص٧٠ حاشية ٢.

(٢) استعملت عند المماليك علي من يشتري المملوك بالمال ويربيه ثم يعتقه عند الكبر، وتعتبر رابطة الأستاذية أقوي رابطة بين المملوك وأستاذه. محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص١٤.

(٣) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص ص ٦٩-٧٠ .

(٤) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص ص ٦٩-٧٠ .

(٥) الرميلة ميدان واسع تحت قلعة الجبل بالقاهرة وتعرف حالياً بالمنشية وبها ميدان صلاح الدين الأيوبي، ابن تغري بردى، جمال الدين أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ٣٨.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ص ٣٩-٤٠ .

الكلي للأتابك إينال، وأظهر كوامن كانت عنده من الملك المنصور وحواشيه، منها أن المنصور جلس يوم قريء تقليده علي الكرسي وجلس الخليفة مع القضاة أسفل، وأشياء من هذا، وقام مع الأمراء في خلع المنصور أتم قيام[١].

وعندما علم الملك المنصور بذلك وتحقق من خروج الأمير الكبير إينال عن الطاعة أمر والي القاهرة أن ينادي بطلوع المماليك السلطانية لأخذ النفقة، وأمر الملك المنصور لأمرائه وحواشية بلبس السلاح فلبسوا بأجمعهم ولبس هو أيضاً[٢].

وابتدأ القتال واشتدت الحرب بين الفريقين، وصار أمر الأمير الكبير إينال في قوة خاصة وقد أخذت المماليك السلطانية في الانضمام إلي الأمير الكبير إينال واستمر القتال علي ذلك عدة أيام، استمر فيها نزول الخاصكية والمماليك في كل يوم من عند السلطان المنصور إلي عند الأمير الكبير إينال يدخلون تحت طاعته، فقوي بذلك جيش الأمير الكبير [٣]، واشتد القتال بين الفريقين بدرجة كبيرة فقد فيها من الجنود ما لا حصر له، إلي أن أعلن الخليفة بين الملأ بخلع الملك المنصور من السلطنة، وسلطنة الأتابك إينال[٤]، وكانت مدة سلطنة الملك المنصور هذا شهراً واحداً وثلاثة عشر يوماً، ولا نعرف أن سلطاناً أقام هذه المدة اليسيرة في ملك مصر في الدولة التركية غيره[٥]، ويبدو أن الفضل في تنصيب الأمير اينال هذا يعود إلى المماليك علي اختلاف أشكالهم من مؤيدية وظاهرية وسيفية وغير ذلك وهو ما يطلق عليهم اسم القرانيص كما سبق أن ذكرنا، خاصة وأن المماليك القرانيص كانوا دائماً بمثابة المحاربين الشجعان، وهم الذين كانوا يُرمي علي عاتقهم الحروب.

هذا وقد كان هناك فتنة كبيرة اشترك فيها المماليك القرانيص مع المماليك الجلبان ألا وهي وقعة المماليك الظاهرية الجقمقية مع الملك الأشرف إينال[٦]، وقد كان سبب هذه الفتنة أولاً : ثورة المماليك الجلبان وأفعالهم القبيحة بالناس، ثانياً : عدم تفرقة النفقة علي المماليك

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ٤٠ – ٤١ .

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ص ٤١ –٤٢.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ٤٤ حاشية ١.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص٤٥ .

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهره، ج١٦، ص ٤٦.

(٦) تحولت الظاهريه الجقمقيه إلى قرانيص فى عهد السلطان إينال، واستغلت إنقسام مماليك الأشرف إينال الجلبان فاستمالت ما اشتراه إينال من مماليك كتابيه جقمقيه، واعتبروهم ظاهريه قرانيص، وثاروا على السلطان إلا أن هؤلاء الكتابيه عادوا إلى طاعة إينال خوفاً من بطشه فُهزمت الظاهريه، راجع:ابن تغرى بردى، النجوم الزاهره، جـ١٦، ص ص٨٧–٩١، ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ٢، ص ص٢٣٢–٢٣٤، محمد العمايره، الجيش، ص١٠٧

الذين عينهم السلطان للذهاب إلي تجريدة بالبحيرة، وكان عددهم ما يقرب من خمسمائة مملوك، ورسم لهم السلطان بالسفر، ولم يفرق السلطان الأشرف إينال علي المماليك المكتوبة للسفر الجمال علي العادة فعظم ذلك عليهم، وامتنعوا إلي أن أخذوا الجمال، وسافر بعض الأمراء فلم يتبعهم أحداً من المماليك المعينة معهم بل وقف معظمهم بسوق الخيل تحت القلعة ينتظرون تفرقة الجمال عليهم[1]، إلي أن انفض الموكب السلطاني، ونزلت الأمراء إلي جهة بيوتهم، فلما صار الأمير يونس الدوادار بوسط الرميلة احتاطت به المماليك الأجلاب، وداروا حوله وعددهم كبير، وأرادوا الكلام معه بسبب زيادة جوامكهم، وأنه يكلم السلطان، فتبين لمماليك يونس الغدر بأستاذهم، فتحلقوا عليه ومنعوهم من الوصول إليه، فصار يونس في حلقه من مماليكه، ومماليكه في حلقة كبيرة من المماليك الأجلاب، وطال الأمر بينهم، ويونس لا يستطيع الخروج، وتحقق الغدر فأمر مماليكه بإشهار سيوفهم، ففعلت ذلك، ودافعت عنه، وجرح من المماليك الأجلاب جماعة، وأسرع الأمير يونس الدوادار بالذهاب الي القلعة، وأعلم السلطان بخبره، فقامت لذلك قيامة المماليك الأجلاب، وقالوا نحن ضربناهم بالدبابيس فضربونا بالسيوف، وثاروا علي أستاذهم ثورة واحدة، وساعدهم جماعة من المماليك القرانيص لما في نفوسهم من السلطان لعدم تفرقة الجمال وغيرها[2]، ووقفوا فى سوق الخيل وأ فحشوا في الكلام في حق السلطان، كل ذلك والمماليك الظاهرية الجقمقية واقفون علي بُعد، لا يختلطون بهم، لينظروا ما يصير من أمرهم، فلما حدث ما سبق ذكره تحققوا خروجهم علي أستاذهم، وثار ما عندهم من الكمائن التي كانت كامنة في صدورهم من الملك الأشرف إينال لما فعل بابن أستاذهم الملك المنصور عثمان، وحبس خشداشيتهم، وتقريب أعدائهم الأشرفية مماليك الأشرف برسباي، فانتهزوا الفرصة وانضموا الي المماليك الأجلاب، وعرفوهم أن الأمر لا يتم إلا في حضرة الخليفة [3] وعندما حضر الخليفة عندهم تكامل لبسهم السلاح، وانضمت اليهم جماعة من المماليك السيفية، وأوباش الأشرفية، وغيرهم من الجياع الحرافيش، فلما رأت الأجلاب أمر الظاهرية حسبوا العواقب، وخافوا زوال مُلك أستاذهم، فتخلوا عن الظاهرية قليلاً بقليل، وتوجه كل واحد إلي حال سبيله، فقامت الظاهرية بالأمر وحدهم، وما عسي يكون قيامهم من غير مساعدة، وقد تخلي عنهم جماعة من أعيانهم وخافوا عاقبة هذه الفتنة، هذا وقد تجهز السلطان لحربهم، وانتهت الوقعة بانتصار السلطان، وخلع

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ٨٧.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ٨٨.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ٨٩.

السلطان الخليفة، وأمسك جماعة من المماليك الظاهرية وحبسهم بالبرج من قلعة الجبل، ونفى بعضهم واختفي بعضهم الآخر[١]

ثورات القرانيص:-

تعددت ثورات القرانيص بسبب قلة النفقه فقد بدأت سلطنة برقوق بمعارضة سياسية وعسكرية من جانب حاكم أبلستين بالشام الأمير الطنبغا السلطاني، ولكن ثورة هذا الأمير الذي رفض الخضوع لحكم الجراكسة انتهت بالفشل بفراره إلي بلاد التتار، وفي القاهرة دبر المماليك الأتراك مؤامرة لتولية الخليفة العباسي بالقاهرة عرش السلطنة، وانتهت هذه المحاولة أيضاً بالفشل وعزل الخليفة وتولية غيره [٢]

ثم اتحدت طوائف المماليك الأشرفية (نسبة إلي الأشرف خليل بن قلاوون) ويلبغا الناصري نائب حلب بالشام أيضاً وهو زعيم اليلبغاوية (نسبة إلي يلبغا الخاصكي) ،واستطاع الثوارهزيمة جيش السلطان في دمشق وساروا في طريقهم إلي القاهرة [٣]، وعبثاً حاول برقوق أن يستميل الرأي العام معه بإلغاء الضرائب والمكوس وإعادة الخليفة العباسي المخلوع، ولكن الأمراء تسللوا للانضمام إلي جيش الثوار القادمين من الشام وفي ذلك الوقت كان الطاعون قد انتشر في القاهرة ليزيد الأحوال سوءاً، ولم يجد برقوق مفراً من الهرب والاختفاء في منزل أحد الخياطين بالقاهرة، ودخل جيش يلبغا القاهرة وصار بذلك سيد الموقف، وتم القبض علي برقوق ونُفي إلي الكرك[٤]

وفي عام ٨٥٥هـ / ١٤٥٠م، رسم السلطان بتفرقة دراهم الكسوة علي المماليك السلطانية كما هي العادة في كل سنة، ولكل مملوك ألف درهم فامتنعوا من الأخذ، وطلبوا الزيادة، وبلغ السلطان الخبر فغضب من ذلك، واستدعي كاتب المماليك أسماء جماعة فلم يخرج أحداً منهم، وصمموا علي طلب الزيادة، وصاروا عصبة واحدة، فلم يسع السلطان إلا أن دعا عليهم، وقام غضباناً، حتي وصل إلي الدهيشة، واستمر المماليك علي ما هم عليه، إلي أن وقع الاتفاق على أن يكون لكل مملوك من المماليك السلطانية ألفا درهم،ورضوا بذلك وأخذوا النفقة المذكورة[٥]

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ص ٩٠ -٩١ .

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ص ص٤٨١- ٤٨٢، قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ١٥٠.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ص ص ٦٠٣- ٦١٦، قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص١٥٠ .

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ص ص ٦٧٠ -٧٠٤، قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ١٥٠ .

(٥) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص ٤٣٥.

هذا وفي عام ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م، ثار المماليك القرانيص وذلك لعدم صرف رواتب اللحم المقررة لهم وتفاصيل ذلك، أنه عندما هرب الوزير فرج بن النحال ولم يحمل في ذلك اليوم أخذ رواتب اللحم المقرر للمماليك السلطانية القرانيص أعني غير الجلبان، وطلع غلام كل واحد أو عبده لأخذ راتب أستاذه من اللحم فلم يجد شيئاً، وبلغهم أن المماليك الذين بالأطباق حضروا وأخذوا رواتبهم، فعز ذلك علي الغلمان والعبيد ونزلوا من فورهم من القلعة، وعاثوا بشوارع القاهرة، ونهبوا عدة حوانيت[١] ، حتي وصلوا إلي سوق أمير الجيوش بقرب باب الفتوح، ولم يمنعهم مانع، ثم عادوا بعد أن خطفوا عدة عمائم، وغير ذلك فكان ذلك أقبح من فعل المماليك بكثير ولم نعهد بمثل هذه الحادثة في سائر العصور[٢]

وتكرر ذلك في نفس العام عندما غاب الوزير فرج بن النحال فطلع العبيد موالي أرباب الرواتب لأخذ اللحم فلم يجدوا الوزير ذبح شيئاً لهم ولا طلع رطلاً من اللحم لجميع المماليك الجلبان والقرانيص فنزلوا العبيد والغلمان إلي شوارع القاهرة وفعلوا بها أضعاف ما فعلوه في تلك المرة، وأخذوا عمائم الناس من علي رءوسهم وشدوهم من علي أكتافهم، وأفحشوا غاية الإفحاش، وأصبحوا علي ذلك كما هو الحال، ولم يطلع إلي القلعة رواتب اللحم شيء، ولم تأكل المماليك فيه إلا فول حار فاستغاثت المماليك وأرادوا الوثوب والنزول مع العبيد فمنعوهم بغلق باب القلعة ونزلت العبيد علي عادتهم وعاثوا بالشوارع حتي وصلوا إلي باب اللوق، فقاموا عليهم أهل باب اللوق وقاتلوهم حتي هزموهم أقبح هزيمة وضربوهم وعروهم، فعادوا علي أقبح وجه[٣]

وفي عام ٩٠٦هـ / ١٥٠١م، ثارت المماليك بكافة أنواعها علي السلطان قانصوه الغورى بسبب تأخر الرواتب، فشكي السلطان من أن الخزانة خاوية والمماليك كثيرة .....فمن أين أسد هؤلاء المماليك ؟ .... ثم تكررت الحكاية في العام التالي حين تأخرت رواتب المماليك ثلاثة شهور، فتمردوا علي السلطان وهددوه، فأخذ يستولي علي أموال الناس قسراً وأرغمهم علي دفع الضرائب والإيجارات لمدة عشرة شهور مقدماً[٤].

---

(١) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص ٥٦٩.

(٢) ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، ج٢، ص٥٦٩.

(٣) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص٥٧١ .

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٤، ص١٦– ١٧، قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ١٥٠ .، لمزيد من التفاصيل: راجع، عبدالمنعم ماجد، التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك فى مصر، دراسه تحليليه للأزدهار والأنهيار، مكتبة الأنجلو المصريه سنة ١٩٨٨م.، علاء طه رزق، السجون والعقوبات والعقوبات فى مصر عصر سلاطين المماليك، الطبعه الأولى سنة ٢٠٠٢.م

أثر الأوبئة والأزمات الاقتصادية علي المماليك القرانيص :

لاشك أن الأزمات الاقتصادية كان لها أثراً كبيراً علي أحوال المماليك القرانصة، فعندما حدث الوباء عام ٨٦٤هـ / ١٤٥٩م، حدث للمماليك الأجلاب أمور غريبة، فإنهم لما فرغوا من أخذ بضائع الناس ظهر منهم في أيام الوباء أخذ اقطاعات الأجناد، فصاروا إذا رأوا شخصاً علي حانوت عطار أخذوه، وقالوا له لعل الضعيف يكون له إقطاع عرفهم به، وإن لم يكن للضعيف إقطاع طال أمره معهم، إلا أن يخلصه منهم أحد من الأعيان، ثم بدا لهم بعد ذلك أن كل من سمعوا له إقطاعاً من أولاد الناس[١] أو الأجناد القرانيص أخذوا إقطاعه، فإن كان سليماً يتمنون مرضه[٢]، وإن كان ضعيفاً ينتظرون موته، فعلي هذا الحكم خرج إقطاع غالب الناس،(الحي والميت)، حتي إنهم فعلوا ذلك بعضهم مع بعض، فصار السلطان والناس في شغل شاغل، لأن الأجلاب صاروا يزدحمون عليه لأخذهم اقطاعات الناس، وعندما يتفرغ المماليك الأجلاب يتظلم كل أحد إليه ممن خرج إقطاعه وهو في قيد الحياة، فلم يسعه إلا رده عليه، فصار الإقطاع يخرج اليوم ويرد إلي صاحبه في الغد، فصار يكتب في اليوم الواحد عدة مناشير ما بين إخراج، ورد، واستمر الناس علي ذلك من أول الفصل إلي آخره[٣]

ويمكن القول أن من مات بالطاعون من المماليك الأجلاب فقط ألفا وأربعمائة شخصاً، وهذا خلاف من مات في هذا الطاعون من المماليك السلطانية الذين هم من سائر الطوائف[٤] (الظاهرية برقوق، والناصرية فرج، والمؤيدية شيخ، والأشرفية برسباي، والظاهرية جقمق، والسيفية، وهم مماليك الأمراء الذين يخدمون بباب السلسلة، وأولاد الناس وهم أيضاً شيء كثير جداً)[٥] والمقصود بسائر الطوائف هنا المماليك القرانيص، ففي عام ٨٦٥هـ / ١٤٦٠م شرع الملك الظاهر خشقدم في تفرقة النفقة علي المماليك السلطانية، ففرقت في كل يوم طبقة واحدة، وذلك لقلة متحصل الخزانة الشريفة، وبالجملة إنها فُرقت أقبح تفرقة، لعجز ظاهر، وقلة موجود، ومصادرات الناس، وبعدها ماجت مماليك الأمراء، ووقفوا في جمع كبير بالرميلة، يطلبون نفقات أستاذيهم، لينفق أستاذ كل واحد منهم في مماليكه، وكان السلطان أخر

---

(١) فرقة من الجيش المملوكي تسمي بأولاد الناس، وقد شملت هذه الفرقة أبناء أمراء المماليك فقط المملوكين بدون عبودية، أبوهم كان مملوكاً وأصبح حراً فهم أحرار، ولهم تربية وأدب، وعرف منهم: ابن تغري بردي المؤرخ المملوكي المعروف، وكثير غيره. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٢٦ .

(٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ١٤٢.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ١٤٣ .

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ١٤٧

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ١٤٧ حاشية ٢.

نفقات الأمراء إلي أن تنتهي نفقة المماليك السلطانية، وكانت العادة تفرقة النفقة علي الأمـــراء قبل المماليك، فلما بلغ السلطان ذلك شرع في إرسال النفقة إلي الأمراء[١]

وفي عهد الملك الظاهر أبي النصر يلباي المؤيدي[٢] علي مصر عـــام ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م، ابتدأ السلطان بالنفقة علي المماليك السلطانية لكل واحد مائة دينار، ففرقت النفقة علـــي أقـــبح وجه، وهو أن القوي يُعطي، والغائب يُقطع، والمُسن يُعطي نصف نفقة أو ربع نفقـــة، ومُنـــع أولاد الناس والطواشية[٣] من الأخذ، وعاداتهم أخذ النفقة، فأحدث الظاهر يلباي هذا الحادث، وكثر الدعاء عليه لقطعه أرزاق الناس[٤] ،هذا وقد منع السلطان أيضاً أمراء الألوف وغيرهم من النفقة، ولم يعط إلا من كُتب منهم إلي السفر لا غير[٥] ويمكن القول أن لهذا السبب نجحت الظاهريه جقمق مع الأشرفيه برسباى والاينالیه فى خلع السلطان يلباى وســـلطنة تمربغـــا[٦] ٧٨٢هـ/١٤٦٧م، وفي سلطنة الملك الظاهر أبي سعيد تمربغا الظاهرى[٧] علي مصر أنعم هذا

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص٢٥٩.

(٢) أصله جاركسي الجنس جلبه الأمير إينال من بلاد الجاركس إلي الديار المصرية في عدة مماليك فاشتراه الملـــك المؤيد شيخ قبل سنة عشرين وثمانمائه، وأعتقه وجعله من المماليك السلطانية ثم ترقي في المناصب المختلفة إلـــي أن صار أتابك العسكر بالديار المصرية. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ص٣٧٥ –٣٥٨ –٣٥٩.

(٣) جمع طواشي، وهم المماليك الخصيان المعينون لخدمة بيوت السلطان وحريمه. دهمان، معجم الألفاظ االتاريخيـــه في العصر المملوكي، ص ١٠٩ .

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ٣٦٢.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ٣٦٣.

(٦) راجع: ابن اياس، بدائع الزهور، جـــ٢، ص٤٦٥، محمد العمايره، الجيش، ص١٠٧.

(٧) هو السلطان الذي تكمل به عدة أربعين ملكاً من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ولقب بالملك الظاهر أبي سعيد تمربغا، وهذا ثالث سلطان لُقب بالملك الظاهر واحداً بعد واحد لم يكن بعدهم أحد، ولم يقع ذلك في دولـــة مـــن الدول بسائر الأقطار سُر الناس فيه سروراً زائداً تشارك فيه الخاص والعام لكونه أهلاً للسلطنة. ابن تغري بـــردي، ، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٧٣ – ٣٧٤، وأصل تمربغا هذا رومي الجنس جلبه بعض التجار في صغره إلي الـــبلاد الشامية في حدود سنة ٨٢٤هـــ، اشتراه الأمير شاهين الزردكاش نائب طرابلس ثم نقل إلي ملك غيره إلي أن ملكـــه الملك الظاهر جقمق، ثم ترقى في المناصب المختلفة إلي أن تولي الدوادارية الثانية فباشرها بحرمة وافـــرة وعظمـــة زائدة، ونالته السعادة، وعظم في الدولة، وشاع إسمه في الأقطار، وبعد صيته، وقصدته أرباب الحوائج مـــن الـــبلاد والأقطار، وصار أمر المملكة معذوقاً، والدوادار الكبير بالنسبة إليه في الحرمة ونفوذ الكلمة واستمر علي ذلك إلـــي أن توفي الظاهر جقمق، وتسلطن بعده ولده الملك المنصور عثمان، فصار تمربغا هذا مدبر المملكة وصاحب الحـــل والعقد فيها. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ص٣٧٦ – ٣٧٧ .

السلطان علي نحو عشرين نفراً بإمريات عشرة من الأشرفية الكبار، ومن الظاهرية الكبـــار، ومن الأشرفية الصغار، ومن الظاهرية الصغار[١]، وعلي بعض السيفية.

دور المماليك القرانيص في الحروب والجهاد[٢]

كان للمماليك القرانصة أوالقرانيص دور كبير وهام فى الحروب والجهاد نظراً لخبرتهم الكبيرة في هذا المجال وقدرتهم علي الدخول في معارك طاحنة لذلك كان يُعتمد عليهم اعتماداً كبيرا فيها، والأدلة علي ذلك كثيرة .

ففي عهد السلطان أحمد ابن السلطان الملك المؤيد شيخ ٨٢٤هـ/١٤٢١م، الذى تسلطن بعد وفاة والده وكان له من العمر سنة واحدة وثمانية أشهر وسبعة أيام، أصبح الأمير ططر[٣] هو مدبر المملكة والقائم بأمورها وأمر[٤] السلطان أحمد ابن الملك المؤيد شيخ ،فأول ما فعله ططر مدبر المملكه هو أنه وعد المماليك السلطانية باعطائهم النفقه علي العادة فكثر الـــدعاء له[٥]، فنودي في المماليك السلطانية بالطلوع إلي القلعة لأخذ نفقة السفر فقد جلس الأمير ططر نظام المُلك بقلعة الجبل، وأنفق في المماليك السلطانية نفقة السفر، لكل واحد مائة دينار، ثـــم

---

(١) هم مماليك الأشرف برسباي، ومماليك الظاهر جقمق، ومماليك الأشرف إينال، ومماليك الظـــاهر خشـــقدم، ابـــن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٨٣، حاشية ٥، ٦، ٧ .

(٢) الجهاد فريضة من فرائض الإسلام ودولة المماليك دولة إسلامية، كما جاء في القرآن الكريم والأحاديث النبويـــة، فتأييد القرآن للاستعداد للجهاد ورد في الآية (وأعدوا لهم ما استطعتم) سورة الأنفال الآية ٦٠، والهدف منه تـــنص عليه الآية (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) سورة البقرة، آيـــة رقـــم ١١، يضاف إلي ذلك ظروف نشأة الدولة المملوكية جعلتها متأثرة بمسيرة الجهاد التي تمسكت بها الدولة الأيوبية من قبل، لتدافع عن العقيدة، وترد العدوان عن أراضي الدولة الإسلامية، ولا ننسي النشأة الحربية التي نشـــأ عليهـــا المماليـــك أنفسهم، فقد كانوا جنداً مرتزقة، ليس لهم عمل إلا صنعة الحرب، فأجادوه، وطوروه، إيماناً منهم بتأكيد حبهم للقتـــال في سبيل الله. محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجيش المصري، ص٩.

(٣) كان جار كسي الجنس، رباه بعض التجار، وعلمه شيئاً من القرآن وفقه الحنفية، وقدم به إلي القاهرة فـــي ســـنة ٨٠١هـــ، نزل في جملة مماليك الملك الظاهر برقوق في الطباق ونشأ بينهم ولما أراد الملك الظاهر برقـــوق عتـــق ططر هذا عرضه في جملة من عرض من مماليك الطباق الكتابية، وكان ططر قصير القامة، فاعتقـــد الظـــاهر أنـــه صغير، فرده إلي الطبقة فيمن رد من صغار المماليك، وكان الأمير جرباش الشيخي رأس نوبة واقفاً، فمسك ططـــر من كتفه، وقال يا مولانا السلطان، هذا فقيه طالب علم قرناص يستأهل الخير فأمر له الملك الظاهر بالخيـــل وكتبـــت عتاقته، وكان ططر من أصاغر المماليك الناصرية أى الناصر فرج بن برقوق، فإن الذي أعتقهم الملك الناصر ممـــن ورثهم من أبيه وهم أول خرج أخرجه جماعة كبيرة مثل الملك الأشرف إينال العلائي، والأمير طوخ من تمراز أمير مجلس، والأمير يونس العلائي أحد مقدمي الألوف فيكون هؤلاء بالنسبة إلي ططر قرانيص وأكابر، وقدماء هجـــرة. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ص١٩٩-٢٠٠، إبراهيم طرخان، ، النظم الإقطاعية، ص٥٠٠.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ص١٦٨ – ١٦٩ .

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٧٠ .

أنفق علي الأمراء والمماليك أيضاً[١] فكانت مماليكه أيام إمرته علي الرغم من فاقته أجّل من جميع مماليك رفقته من الأمراء فيهم الناصرية، والجكمية والنوروزية وغيرهم[٢]

هذا وقد حاول الأمير ططر أن يتخلص من الأمراء المؤيدية، وصار ططر يتردد في القبض عليم إلي أن حانت الفرصة، فقبضت الأمراء الظاهرية علي الأمراء المؤيدية، علي رأسهم الأمير إينال الجكمي أمير سلاح[٣] أصله من مماليك جكم من عوض نائب حلب إلا أن المؤيد هو الذي أنشأه ورقاه، والأمير إينال الشيخي الأرغزي حاجب الحجاب[٤]، وكان أصله من مماليك الأمير شيخ الصفوي، أمير مجلس[٥] في دولة الملك الظاهر برقوق، غير أنه خدم الملك المؤيد قديماً، واختص به أيام تلك الفتن، فلما تسلطن رقاه وقربه إلي الغاية[٦]

هذا ويمكن القول أنه تم القبض علي باقي الأمراء المؤيدية، وبعدها خلا الجو للأمير ططر، وعلم أنه لم يبق له منازع فيما تصبو إليه نفسه، فلما قبض علي هؤلاء عزم علي خلع السلطان الملك المظفر أحمد من السلطنة ووافقه علي ذلك جميع الأمراء والخاصكية، هذا وقد صار ططر يأخذ بخاطر من بقي من صغار المماليك المؤيدية ويقربهم ويسكن من روعهم، علي أن كل واحد منهم انتمي لشخص من حواشي ططر كما هي عادة العساكر المتفرقة، ممن زالت دولتهم، وذهبت شوكتهم، وتخلف منهم جماعة بالبلاد الشامية، وانحط قدرهم، وخدموا الأمراء سنين إلي أن أعيدوا في دولة الملك الظاهر جقمق إلي بيت السلطان[٧].

وعندما تسلطن الملك الصالح محمد بن ططر علي مصر عام ٨٢٤هـ / ١٤٢١م، واستقر الأتابك جاني بك الصوفي مدبر مملكته[٨]، وذلك لأنه كان صغير السن بالتقريب عشر

---

(١) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص ١٨٥ .

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص ٢٠٨.

(٣) أمير سلاح وهو لقب علي الذي يتولى أمر سلاح السلطان أو الأمير ويجمع على أمراء سلاح، والسلاح آلة القتال. القلقشندي، صبح الأعشي، ج٥، ص٤٢٨.

(٤) هو منصب مملوكي كان صاحبه يقوم مقام النائب في الولايات، وإليه يشير السلطان، وإليه أيضاً يتقدم من يتعرض ومن يرد، وإليه يرجع عرض الجند وما شابه ذلك، فهو يتصف بين الأمراء والجند تارة، وتارة كأنه نائب السلطان، وإليه تقدم العروض. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٥٩ .

(٥) يتولي صاحب هذه الوظيفة أمر مجلس السلطان أو الأمير، كما كان يحدث الأطباء والكحالين ومن شاكلهم، وهذه الوظيفة أعظم قدراً من إمرة سلاح.
القلقشندي، صبح الأعشي، ج٤، ص١٨، ج٥، ص٤٥٥ .

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص ص ١٩٤ – ١٩٥ .

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص ص ١٩٦ – ١٩٧ .

(٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص ٢٠٦ .

سنين، وانضم عليه معظم الأمراء، والمماليك السلطانية، وأقام الأمير برسباي الدقماقي [١] الدوادار واللالا[٢] أيضاً بطبقة الأشرفية في عدة أيضاً من الأمراء المقدمين صاروا حزباً وتشاوروا إلي من يذهبون، إلي أن تكلم الأمير سودون من عبدالرحمن مع الأتابك جاني بك الصوفي فرد عليه الجواب بما لا يرضي، عند ذلك تحول سودون من عبدالرحمن ورفقته وصاروا من حزب برسباي وطرباي، وبات الجميع بالقلعة وباب السلسلة مستعدين للقتال فلم يحرك أحد ساكناً، وأصبحوا وقد تجمع المماليك بسوق الخيل يطلبون النفقة عليهم علي العادة والأضحية وأغلظوا في القول وأفحشوا في الكلام حتي كادت الفتنة أن تقوم فلا زال الأمراء بهم يسترضونهم، وقد اجتمع الجميع عند الملك الصالح حتي رضوا وتفرق جمعهم[٣] .

هذا وقد يحتمل وقوع فتنة وذلك لاختلاف الآراء واضطراب الدولة وعدم اجتماع الناس علي واحد بعينه، هذا وقد تجمع الأمراء مرة أخري تحت القلعة لطلب النفقة وأفحشوا في الكلام علي عادتهم، وترددت الرسل بينهم وبين الأتابك جاني بك الصوفي وطال النزاع حتي تراضوا أن ينفق فيهم بعد عشرة أيام من غير أن يعين لهم مقدار ما ينفقه فيهم، فانفضوا علي ذلك، وسكن الأمر من جهة المماليك السلطانية[٤] إلي أنه حدثت أمور بين كل من الأمير برسباي والأمير جاني بك الصوفي، استطاع الأمير برسباي نظام المُلك ومدبر المملكة في نفقة المماليك السلطانية، وهو والأمراء علي تخوف من المماليك السلطانية من الامتناع عن أخذها، ذلك أنهم وعدوا المماليك في نوبة الأمير الكبير جاني بك الصوفي لكل واحد بمائة دينار فلم يصر لكل واحد سوي خمسين ديناراً من أجل قلة المال، فقد كان الظاهر ططر قد فرق الأموال التي خلفها الملك المؤيد شيخ جميعها حتي أنه لم يبق منها بالخزانة السلطانية غير ستين ألف دينار[٥]، ولذلك استعفي صلاح الدين بن نصر الله من وظيفة الأستادارية[٦]،

---

(١) أصله جاركسي الجنس، وجلب من البلاد فاشتراه الأمير دقماق المحمدي الظاهري نائب ملطية، وأقام عنده مدة لذلك كان نسبته إليه، ثم قدمه إلي الظاهر برقوق في عدة مماليك أخر، وتفرق برسباي هذا علي الأطباق، فوقع برسباي هذا بطبقة الزمامية إنياً للأمير جاركس القاسمي المصارع، وغيره، فدام برسباي مدة يسيرة وأعتقه السلطان. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص ص٢٤٢ -٢٤٣ .

(٢) اللالا هو المربي. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ١٣٣ .

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص ٢١٢ .

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص ص ٢١٢ – ٢١٣.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٢٢.

(٦) بضم الهمزة: لقب مملوكي يطلق علي الشؤون الخاصة للسلطان، والأستادارية وظيفة موضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ، والشراب خاناه، والحاشية، والغلمان، ويمشي صاحبها بُطلب السلطان (الُطلب: الكتيبة من الجيش، فارسية الأصل)، ويحكم في غلمانه وباب داره، وله حديث مطلق وتصرف تام في إستدعاء ما

بعد أن قام هو وأبوه الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخواص[١] الشريفة بعشرة آلاف دينار في ثمن الأضحية، وبعشرين ألف دينار مساعدة في نفقة المماليك السلطانية، ثم تقرر علي كل من مباشري الدولة شيء من الذهب حتي تجمع من ذلك كله نفقة المماليك، وعندما جلس السلطان والأمراء لنفقة المماليك أخذ برسباي نظام الملك الصرة من النفقة بيده، وكلم المماليك السلطانية بما معناه أن الملك الظاهر ططر لم يدع في بيت المال من الذهب، وأنهم عجزوا في تحصيل المال لتكملة النفقه، ورضي الأمراء فأخذ الجميع النفقة وانقضوا بغير شر[٢].

ولا يمكن أن ننكر دور هؤلاء المماليك القرانصة عند غزو قبرص، فعندما تولي برسباي عرش البلاد ٨٢٦هـ / ١٤٢٢م، رأي أن غزو قبرص يمكن أن يحقق له أهدافه السياسية الداخلية، وفي السنة الثانية من حكم هذا السلطان جاءت الأخبار بأن الفرنج استولوا علي مركبين من مراكب المسلمين وفيهما حوالي مائة مسلم وبأن جانوس لوزينان ملك قبرص استولي علي مركب للسلطان كانت محملة بالهدايا المرسلة إلي السلطان مراد العثماني [٣]فكان رد الفعل سريعاً وعنيفاً من جانب مصر، فقد شن الأسطول المصري ثلاث حملات لغزو قبرص ففي عام ٨٢٩هـ / ١٤٢٥م، ورد الخبر علي السلطان بأخذ مدينة قبرص[٤] وأسر ملكها جينوس بن جاك، فقد استطاع الجيش المملوكي، تقسيم أنفسهم فرقتين فرقه في البر

يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكسوة، وما يجري مجري ذلك للمماليك وغيرهم. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص١٥، أما معناها بكسر الهمزة: لقب يطلق علي من يتولي قبض مال السلطان وصرفه، وتمثيل أوامر السلطان فيه، وهو مركب من لفظيين فارسيين: إستذ ومعناه الأخذ، ودار: ومعناه الممسك، وقد أدغمت الذال في الأولي مع الدال في كلمة دار، فصارت استدار، والمعني: المتولي للأخذ، وترد في الكتب أحيانا أستاذ الدار. ال، تاج الدين السبكى، معيد النعم ومبيد النقم، ص٢٦، دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ١٥ .

(١) ناظر الخواص هي من وظائف كتاب الأموال، ومهمة متوليها النظر في خاص أموال السلطان ويرفع إليه حسابها لينظر فيه. القلقشندي، صبح الأعشي، ج٥، ص٤٦٥ .

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص ص ٢٢٣ .

(٣) قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ١٥٢ .

(٤) جزيرة قبرص تسمي باللغة الرومية شبرا، والبحر يحيط بها مائتي ميل، والميل أربعة آلاف ذراع، والذراع أربعة وعشرون إصبعاً، وسلطانها يقال له أراد شبرا، أى سلطان الجزيرة، وقبرص مدينة بالجزيرة يقال لها الأفقسية، ومسيرة جزيرة قبرص سبعة أيام، وبهذه الجزيرة اثنا عشر ألف قرية كبارا وصغارا، وبها كنائس وأديرة وبساتين، وبمدنها الأسواق والخانات والحمامات والمباني العظيمة. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص ص ٢٩٥ – ٢٩٦، كانت هذه الجزيرة قاعدة لعمليات الصليبين العسكرية والبحرية ضد المسلمين وكان ملكها بطرس لوزينان هاجم الإسكندرية وخربها سنة ١٣٦٥م، وقد حاول المماليك غزو قبرص في زمن بيبرس، والأشرف شعبان لكنه لم يحاول الاستيلاء عليها. قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص١٥٢ .

ومعهم الأمير تغري بردي المحمودي، والأمير حسين بن أحمد المدعو تغري بـــرمش أحـــد مقدمي الألوف ومن انضم اليهم من أمراء الطبلخانات[١] والعشرات[٢] والعساكر (المصرية والشامية)، إلي جانب فرقة البحر ومقدمهم الأمير إينال الجكمي أمير مجلس، والأميـــر قـــرا مراد خجا الشعباني أحد مقدمي الألوف بمن انضاف إليهم من العساكر المصرية والشـــامية، وكان سبب مسير هؤلاء في البحر خوفاً من أن يطرق الفرنج المراكب من البحر ويأخـــذوها ويصير المسلمون ببلادهم يقاتلونهم علي هيئتهم، وكان ذلك من أكبر المصالح، هذا وقد التقي المسلمون بمتملك قبرص بجيوشه وعساكره، ومن انضاف اليه من ملوك الفرنج وغيرها وقد ملأت الفضاء، وعندما رأهم المسلمون لم يتمالكوا أنفســـهم وانتهـــزوا الفرصـــة وتعرضـــوا للشهادة، وقد احتسبوا أنفسهم في سبيل الله عز وجل، وقد حملوا علي الفرنج حملـــة عظيمـــة وقاتلوهم أشد قتال، قتل فيه الكثير من المماليـــك مـــنهم الســـيفي تغـــري بـــردي المؤيـــدي

---

(١) هو الأمير الذي يرقي إلي درجة يستحق بها أن تضرب الموسيقي علي بابه، ويكون أمير أربعين، ويتـــدرج فـــي الزيادة إلي ثمانين، ويعد أمير الطبلخاناه في الدرجة الثانية بين الأمراء، وتعني الطبلخاناه أيضاً الفرقـــة الموســـيقية السلطانية، وكانت العادة أن تدق في كل ليلة بعد صلاة المغرب، وتكون في صحبة السلطان في الأسفار والحـــروب، ويمكن القول أنهم الأمراء الذين يصح ان تضرب الطبول علي أبوابهم، ويكون في خدمة الأميـــر مـــنهم أربعـــين – سبعين مملوكاً ويلي الألف في الرتبة والطبلخانه كلمة فارسية من جزئين، طبل وخاناه، ومعناه بيت الطبل ويقصد به الطبول والأبواق التي تدق علي أبواب الأمراء وذوي الرتب العالية، ويتولى أمرها أمير عشرة يكون مســـئولاً عنهـــا في المخازن وفي السفر والحرب وتحت يده عدد من ضاربي الطبول ونافجي النفير (البـــوق) وضـــاربي الصـــنوج النحاس وغيرهم، ويكون من حق أمراء المئين والأمراء اللذين يحق لهم تكوين فرقة من أربعين فارســـاً أن يكـــون لديهم طبلخاناه. القلقشندي، صبح الأعشي، ج٤، ص٥ ص١٤، محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجـــيش المصـــري، ص٧٨، دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٢٢، ص١٠٦، قاسم عبده قاسم، عصـــر ســـلاطين المماليـــك، ص٣٤ حاشية ٢٢، ماجد، عبد المنعم، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ص ١٤٧.

(٢) أمير عشرة: رتبة عسكرية في الجيش المملوكي ونصيب كل منهم في الحرب أمرة عشرة ومن هذه الطبقة يعـــين صغار الولاة وصغار الموظفين. الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١١٣، محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجـــيش المصري، ص٧٦، دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص٢٢، قاسم عبده قاسم، عصر ســـلاطين المماليك، ص٣٥،

David Ayalon , Studies on the structure of the Mamlouk Army , II vol.15.

الخازندار[١]، وغيره من الشجعان، ووقع علي الفرنج الخذلان وانكسروا، وأسر متملك قبرص مع كثرة جموعه وعساكره[٢]

أما في البحر فقد جاء الخبر إلي المسلمين بعد أن تقدم منهم جماعة كبيرة من المطوعة والمماليك السلطانية إلي قبرص بأن أربعة عشر مركباً من مراكب الفرنج مشحونة بالسلاح والمقاتلة وقد أتت المراكب لقتال المسلمين، فلاقاهم الأمير إينال الجكمي أمير مجلس[٣]، والأمير قرا مراد خجا الشعباني، والأمير طوغان السيفي تغري بردي أحد مقدمي دمشق، والأمير جاني بك رأس نوبة السيفي يلبغا الناصرى المعروف بالثور بعساكرهم ومن انضاف إليهم من المطوعة وغيرهم، واقتتلوا مع الفرنج أشد قتال حتى هزموهم[٤]

هكذا شن الأسطول المصري ثلاث حملات لغزو قبرص في سنوات ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠هـ/ ١٤٢٥،١٤٢٦م علي التوالي، وقد حققت الحملتان الأولي والثانية نتائج مرضية وعادت بكثير من الأسري والغنائم، ولكن برسباي أصر علي إخضاع الجزيرة لحكمه حتى يتخلص نهائياً من المتاعب التي يسببها بقايا الصليبيين في هذه الجزيرة، وقد تمكنت الحملة الثالثة من تدمير ليماسول ميناء الجزيرة، وأسروا الملك القبرصي نفسه، ثم استولوا علي نيقوسيا عاصمة الجزيرة ورفعوا الرايات المصرية علي مبانيها[٥]، وعادت الحملة لتسير في موكب حاشد في شوارع القاهرة، وخلفهم الأسري ومعهم الملك جانوس الذي قبل الأرض تحت قدمي السلطان واستعطفه وأعلن خضوعه للحكم المصري ودفع فدية كبيرة[٦]

وفي عام ٨٣٣هـ / ١٤٣١م، جاء الخبر بنزول قرايلك،[٧] علي ملطية، وقد نهبها وأحرقها، وحصر ملطية، فأمر السلطان بتجهيز العسكر إلي البلاد الحلبية وبرز الأمراء

---

(١) بكسر الخاء وفتح الزاي المعجمتين، وهو لقب الذي يتحدث لقب للذي يتحدث علي خزانة السلطان أو الأمير أو غيرهما، وهو مركب من خزانة، وهي ما يخزن فيه المال، وكلمة دار فارسية ومعناها ممسك، والمقصود ممسك الخزانة. القلقشندي، صبح الأعشي، ج ٥، ص ٤٦٣، دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ٦٨.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ص٢٩٢ –٢٩٣.

(٣) محمود نديم أحمد، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي، ص ٧٨.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٢٩٤.

(٥) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص ص٢٧٥– ٢٨١، قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك،١٥٠.

(٦) قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ١٥٢ .

(٧)عثمان قرايلك هو المؤسس الحقيقي لدولة الشاه البيضاء التركمانية، أو دولة آق قيونلو، وأصل هذه الدولة منحة ظفر بها عثمان من تيمورلنك حوالي سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م، في أرض أرمينية ومنطقة الفرات العليا، مقابل خدمات عثمان لتيمورلنك، وورد إسم قرايلك في ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ١٩– ٢٠ (قراملك)، وكانت دولة

المجردون من القاهرة إلي الريدانية[١] خارج القاهرة، وهم الأمير جارقطلو أتابك العساكر، والأمير إينال الجكمي أمير سلاح، والأمير آقبغا التمرازي أمير مجلس[٢]، والأمير تمراز القرمشي رأس نوبة النوب[٣]، والأمير قرا مراد خجا الشعباني الظاهرى برقوق أمير جاندار[٤]، وعدة من أمراء الطبلخانات والعشرات، وخمسمائة مملوك من المماليك السلطانية، هذا وقد خرج إليهم الأمير قصروه نائب حلب، وقد لحقه الأمير سودون من عبدالرحمن نائب الشام بعساكر الشام، وبعث إليهم السلطان أيضاً بالعسكر المذكور، فعندما تحرك عسكر السلطان جاء إليهم الخبر بأن قرايلك عاد إلي بلاده، وأن المصلحة تقتضي عدم خروج العسكر من مصر في هذا العام[٥]، فرسم السلطان بعودتهم، واستعيدت منهم النفقة السلطانية التي أنفقت فيهم عند سفرهم، فنزل من أجل هذا بالناس ضرر عظيم ونفرت القلوب من السلطان علي فعلته هذه[٦] ففي عام ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م توجه السلطان الملك الأشرف برسباي ومعه عدد كبير من الأمراء إلي البلاد الشامية فمن دمشق إلي حلب، وقد أقام السلطان بحلب ليستقبل بها قُصاد الأمير عثمان بن طرغلي المدعو قرايلك[٧] في طلب الصلح، فلم يرد عليه أحد ممن يعتمد السلطان علي كلامه، فعند ذلك تهيأ السلطان للخروج

الشاه البيضا هذه في أغلب أيامها معادية لدولة المماليك، وكثيراً ما أغارت علي بلاد الدولة المملوكية. القرماني، أخبار الدول، ص ص ٣٢٦ – ٣٣٩، ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص ص ٨٢– ٨٤–٨٦،

(١) اسم أطلق علي بستان لريدان الصقلبي أحد خدام العزيز بالله الفاطمي، ويقع في حدود الصحراء الواقعة شمال القاهرة، وتمتد المنطقة لتشمل ما بين الحسينية (العباسيه الآن) وميدان فاروق وبين الصحراء التي فيها مدينة مصر الجديدة. محمد رمزى، القاموس الجغرافي، ج ١، ق ٢، ص ٢١٤ .

(٢) القلقشندي، صبح الأعشي، ج٥، ص ٤٢٨ .

(٣) هو الذي يتحدث (يأمر) علي مماليك السلطان وهو المسئول عن مماليك السلطان، أو الأمير وينفذ أمره فيهم وهو أعلاهم، ومنه رؤوس النوب: وهم أربعة أمراء يرأسهم مقدم ألف يشرفون علي المماليك السلطانية. القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٩، ج٥، ص٤٥٥، السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١١١، دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٨١، محمود نديم أحمد فهيم، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي، ص ٧٩ .
Ayalon, Studies on structure of the Mamlouk Army ,III .B.S.O.A. vol.16,p 62.

(٤) أمير جاندار: لقب للذي يستأذن علي الأمراء وغيرهم في أيام المواكب عند الجلوس بدار العدل، يتألف اللفظ من: أمير لفظ عربي، وجان، لفظ فارسي بمعني الروح، ودار: لفظ غارسي بمعني الممسك، ويعني اللفظ الأمير الممسك للروح أى الحافظ للسلطان فلا يأذن بالدخول عليه إلا لمن يثق به. القلقشندى، أبو العباس علي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠، ج٥، ص ٤٥٩، دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ٢٠ .

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٣٥٠ .

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٣٥١ .

(٧) القرماني، أخبار الدول ص ص٣٢٦ – ٣٣٩، ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص ص٨٢–٨٤–٨٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص ١١٢، حاشية ٥ .

إلي جهة آمد، فسار السلطان بعساكره من الرها وعليهم الأسلحة وآلة الحرب إلـــي أن نـــزل علي آمد، وصَف السلطان عساكره عدة صفوف، ووراءهم الثقل والخدم، حتي ملأوا الفضاء طولاً وعرضاً، وقد هال أهل آمد ما رأوه من كثرة العساكر، وتلك الهيئة المزعجة التي قـــل أن يجتمع في عساكر الإسلام مثلها، واقتحمت عساكر السلطان خندق آمد، وقاتلوا مـــن بهـــا قتالاً شديداً، وبينما الناس في أشد ما هم فيه من القتال، أخذ الســـلطان فـــي مقـــت المماليـــك وتوبيخهم[١]، حتي أنه لبس سلاحه بالكامل وأراد أن يقتحم المدينة بنفسه ولكنه أعاقه أعيـــان أمرائه، كل هذا والقتال علي أوجه بين القوم، والسلطان في قمة غضبه، فقُتل الكثير وجُـــرح الكثير، وكان أخر كلام السلطان للأمراء أن العساكر تركب صحبة الأمراء وتزحـــف علـــي المدينة، ويكون الذي يركب مع الأمراء للزحف المماليك القرانصة أو القرانيص، والســـلطان ومماليكه الأجلاب[٢] يكونوا خلفهم، وأراد بذلك عدم معرفة مماليكه بطرق الحـــرب فحمـــل الناس كلامه علي أنه يفعل ذلك شفقه علي مماليكه، وأنه يريد هلاك من سواهم، وقامت قيامة القوم، وتنكرت القلوب علي السلطان في الباطن، وتطاولت أعناق أمرائه إلي الوثوب عليـــه، واتفق كثير منهم علي ذلك لولا أن بعضهم مات من جراحه، وتخوف بعضهم مـــن بعـــض، وعدم موافقة جماعة أخر من أعيان الأمراء[٣] هذا والقتال مستمر بين العسكر السلطاني وأهل آمد، وقتل الكثير من الفريقين[٤] ولكن جاء الأمر في النهاية بالصلح بين الطـــرفين بعـــد أن ترددت الرسل بين السلطان وبين قرايلك في الصلح، وكان قرايلك هو البادىء في ذلك حتـــي تم وانتظم الصلح بينهما[٥]

وأحياناً كثيرة كانت تحدث فتنة بين الأمراء الكبار بعضهم الـــبعض ويكـــون الأمـــراء المماليك مابين هذا وذاك بمعني أنهم يقنعون الطرفين أنهم معهم وبجانبهم، مثلما حدث عـــام

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ص ١٤– ١٥ – ١٦ –١٧ .

(٢) الأجلاب أو الجلبان أو المشتريات أو المشتروات: فريق من المماليك اشتراهم السلطان أو الأمير المملوكي، بقدر ما تسمح به رتبته في الإمرة، وإقطاعه المخصص لهذه الرتبة، وهم عند السلطان جزء من المماليك السلطانية، وعند غيره من الأمراء فريق من أجناده ومماليكه، وكان هؤلاء الأجلاب موضع إيثار عند أستاذهم دائماً، ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص٨٩، ١٢٦، ١٥٠، ج٤، ١٣٦، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٨، مركز تحقيق التراث سنة ١٩٩٢م، ص ص ٢٠٦ –٢٠٧، ، خليل بن شاهين الظاهرى، زبدة كشـــف الممالك، تحقيق: بول ريفز، باريس د .ت، ، ص ١٠٤– ١٠٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهـــرة، ج٩، ص ٤٤، ج١٥، ص٢٠، حاشية ١ .

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص٢٠ – ٢١ .

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص٢١ .

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص٢٥– ٢٦ .

٨٢٥هـ/ ١٤٢١- ١٤٢٢م، عندما حدثت الوحشة بين الأمير برسباي الدقماقي نظام الملك، وبين الأمير الكبير طرباي أتابك العساكر، وتنكر الحال بينهما في الباطل، وسبب ذلك أن الأمير طرباي شق عليه استبداد الأمير برسباي الدقماقى بأمور المملكة وحدة، وتردد الناس إلي بابه، وخاف إن دام ذلك ربما يصير من أمر برسباي ما أشاعه الناس، وكان الاتفاق بينهما أن يكون أمر المملكة بينهما نصفين بالسوية لا يختص أحدهما عن الآخر بأمر من الأمور وكان الأمير طرباي في الأصل متميزاً علي برسباي، ويري أنه هو الأكبر والأعظم في النفوس، وأنه هو الذي أقام برسباي في هذه المنزلة من كونه استمال المماليك السلطانية اليه، ونفرهم عن الأمير الكبير جاني بك الصوفي حتي تم له ذلك، وأنه هو الذي خدع جاني بك الصوفي حتي أنزله من باب السلسلة، وقام مع الأمير برسباي إلي أن رضيه الناس بأن يكون مدبر المملكة، كل ذلك ليكون برسباي تحت أوامره، ولا يفعل شيئاً إلا بمشاورته، فعندما رأى طرباي أن الأمر بخلاف ما أمله ندم علي ما كان من أمره في حق جاني بك الصوفي حيث لا ينفعه الندم وتكلم مع حواشيه فيما يفعله مع الأمير برسباي، وكان له جموع كبيرة من خشداشيته المماليك الظاهرية برقوق وغيرهم، فأشاروا عليه أن ينقطع عن طلوع الخدمة أياماً لينظروا فيما يفعلونه، وكان طرباي مطاعاً في خشداشيته ولهم فيه محبة زائدة، وتعصب عظيم له علي برسباي، فاغتر طرباي بكلامهم، أما الأمير برسباي عندما علم أن الأمير طرباي توغر خاطره منه، وعلم أنه لا يتم له أمر مع وجوده، أخذ يدبر عليه فيما يفعله معه حتي يتمكن من القبض عليه ثم يفعل ما بدا له، هذا وقد انضم عليه جماعة كبيرة من أمراء الألوف، أعظمهم الأمير سودون من عبدالرحمن الدوادار الكبير، والأمير قصروه من تمراز رأس نوبة النوب، والأمير يشبك الساقي الأعرج، وقد كان هو أعظمهم دهاء ومعرفة، وله دراية بالأمور، بالإضافة إلي الأمير تغري بردي المحمودي الناصري وغيرهم، وباقي الأمراء أيضاً في خدمة الأمير برسباي في الظاهر، غير أنهم في الباطن جميعهم مع طرباي، ولكن حيثما ما أمكنهم الكلام مع برسباي أو طرباي قالوا له : أنت خشداشنا وأغاتنا، للأن كليهما من مماليك برقوق، بهذا المقتضي صار الأمير برسباي لا يعرف من هو معه من خشداشيته الظاهرية [١]، ولا من هو عليه، فإنهم باينوا طرباي، وانضموا علي برسباي ظاهراً وباطناً، ولكن عندما علم برسباي أن هؤلاء الأمراء معه حقيقة قوي قلبه بهم، وألقي مقاليد أمر طرباي في رقبة الأمير يشبك الساقي الأعرج أن ينزل إليه، ويحاول معه في أن يطلع إلي الخدمة السلطانية، ثم سلط جماعة أخري علي طرباي يحسنون له الحضور[٢] واستطاع

(١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص٢٢٧ .

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٢٢٧ -٢٢٨ .

برسباي أن يتخلص من الأمير طرباي، ويخلو له الجو، وفي عام ٨٦٤هـ / ١٤٥٩م، عرض السلطان الأشرف إينال المماليك السلطانية بالحوش، وعين منهم جماعة للجهاد، أى للسفر صحبة جاكم الفرنجي إلي قبرص[١]، وقد بعث السلطان الأشرف إينال، الأمير خشقدم الناصري المؤيدي أمير سلاح[٢] إلي سفر الوجه القبلي، وذلك لقتال العرب الخارجة عن الطاعة، وعين معه مائتي مملوك[٣]، هذا وقد أنفق السلطان في المجاهدين من المماليك السلطانية، للفارس والراجل سواء، لكل واحد مبلغ خمسة عشر ديناراً، وأنفق علي كل مملوك من المماليك الذين يتوجهون للجهاد[٤] مع كبار الأمراء، هذا وقد قوي الاهتمام بأمر المجاهدين للسفر إلى دمياط، وتجهيز المراكب للسفر، حتي أن السلطان الملك الأشرف إينال نزل في موكب هائل من قلعة الجبل بأمرائه وخاصكيته، وأعيان دولته إلي جزيرة أروى المعروفة بالوسطي بساحل النيل، لينظر ما عُمر من المراكب، هذا وقد سافر المجاهدون في بحر النيل إلي ثغر دمياط، ومقدم العساكر في هذا الوقت في البر الأمير يونس الأقبائي الدوادار الكبير، وفي البحر الأمير قانم من صفر خجا المؤيدي التاجر أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، ومعهما الأمير سودون الإينالى المعروف بقراقاش حاجب الحجاب، وخلع السلطان علي هؤلاء الثلاثة المذكورين، ونزل جميع الغزاة في خدمتهم إلي بحر النيل، وسافر هؤلاء الأمراء الثلاثة إلي دمياط من يومهم، وبقيت العساكر يسافرون إرسالا في كل يوم [٥]، في الوقت الذي وصل فيه إلي القاهرة جماعة من الغزاة وأخبروا أن العساكر الإسلامية بأجمعها خرجوا من جزيرة قبرص وساروا علي البحر الملح يريدون السواحل الإسلامية،

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ١٤٨ هذا وقد أمر السلطان بخروج تجريدة إلي قبرص وذلك لأن الفرنجي جاكم عز عليه أن تتولي أخته قبرص، ويظل هو علي ملك الأفقسية من جزيرة قبرص، فتكلم بكلام معناه أنه قد جاء إلي مصر والتجأ إلي السلطان، ودخل تحت كنفه، وأنه أحق بالملك من أخته، فلم يسمع السلطان لكلامه وصمم علي ولاية أخته، فما كان من أعوانه إلا أن استغاثوا بكلمة واحدة، أنهم لا يريدون إلا تولية جاكم هذا مكان والده وعظمت الغوغاء، فلم يسع السلطان إلا أن أذعن في الحال بعزل الملكة وتولية جاكم، ورسم بخروج تجريدة من الأمراء إلي غزو قبرص، تتوجه مع جاكم المذكور لغزو قبرص. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ١٤٨.

(٢) أمير سلاح: لقب يطلق علي الذي يتولي أمر سلاح السلطان أو الأمير. محمد أحمددهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٢٠.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص١٥٠ .

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص١٥٠ .

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص١٥١ .

فهبت عليهم ريح عظيمة شتتت شملهم وتوجهوا إلي عدة جهات بغير إرادة[١]، وأخبروا أيضاً بموت الأمير سودون قراقاش[٢] حاجب الحجاب، وعلم السلطان أيضاً أن الأمير يونس الدوادار ترك بجزيرة قبرص جماعة من المماليك السلطانية ومماليك الأمراء قوة لجاكم صاحب قبرص، وجعل مقدمهم جانبك الأبلق الظاهرى الخاصكى، وأن جماعة كبيرة توفوا إلي رحمة الله تعالي من عظم الوخم[٣]

ويمكن القول أنه في عهد السلطان أبى الفتح أحمد ابن إينال علي مصر الذي ولي السلطنة عام ٨٦٥هـ / ١٤٦٠م، جاءه كتاب من جانبك الأبلق الظاهرى من قبرص أنه هو ومن معه من المماليك السلطانية وغيرهم من الفرنج واقعوا أهل شرينة وحصروا قلعتها، وقتلوا من الفرنج من أهل شرينة ثمانية نفر، وأسروا مثلهم، ثم ذكر أيضاً أنه واقع ثانياً أهل شرينة، وقتل صاحب الشرطة بقلعتها، ثم ذكر جانبك أيضاً أنه ظفر بعدة مراكب ممن كان قدم من الفرنج نجدة للملكة المذكورة، وانه أسر منهم خلائق تزيد عدتهم علي مائة نفر، وأنه أخذ بالحصار عدة أبراج من أبراج قلعة باف[٤] بعد أن قاسوا منه شدائد، وأنه يستحث السلطان في إرسال عساكر بسرعة قبل مجيء نجدة لهم من الفرنج أهل الماغوصة الجنوية، ومن أهل شرينة من غير الجنوية[٥]، واعتمد السلطان قايتباى على طوائف متعدده من القرانيص فى حملاته ضد شاه سوار أمير التركمان ٨٧٢هـ/١٤٦٧م، وحسن الطويل التركمانى ٨٧٧هـ/١٤٧٢م حيث قتلت اعداداً كبيره منهم فى هذه الحملات.[٦]، وهناك من كان يفضل المماليك القرانصة علي المماليك الأجلاب ويعرف قيمتهم وقدرهم، وذلك كما حدث عام ٨٣٢هـ/١٣٣٠م، فعندما قدم الأمير سودون من عبدالرحمن نائب الشام إلي القاهرة وكان معه القاضي كمال الدين محمد بن البارزي كاتب سر دمشق، وطلعا إلي القلعة فخلع السلطان عليهما خلع الاستمرار واجتمع السلطان بسودون أكثر من مرة، فكلمه سودون فيما يفعله مماليكه الجلبان بالمباشرين وغيرهم، وخوفه عاقبة المماليك القرانصة من ذلك، فقال له الملك الأشرف قد عجزت عن إصلاحهم، ثم كشف عن رأسهم ودعا عليهم بالفناء والموت أكثر من

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص١٥٢ .

(٢) قيل لمرض ألم به أزيد من عشرة أيام، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص١٥٣ حاشية ١ .

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص١٥٣ .

(٤) قلعة باف أو باقوس: وتطلق علي مدينتين قديمتين في القسم الجنوبي من جزيرة قبرص (دائرة المعارف للبستانى – باقوس) .

(٥) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص٢٢٤ .

(٦) شاه سوار زعيم إمارة دلغادر التركمانيه، تولى الإماره سنة٨٧١هـ/١٤٦٦م. راجع: إبراهيم طرخان، مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسه، سنة١٩٦٠م، ص١٣٢.

مرة[١]، فقال لهم الأتابك جارقطلو : ضع فيهم السيف وأقم عوضهم، وما دام رأسك تعيش فالمماليك كثير، ومائة من القرانيص خير من ألف من هؤلاء الأجلاب، ولو كان صغار عبيد القاهرة كفئاً لهم، وقد كان المماليك الجلبان يضربون مباشري الدولة وينهبون بيوتهم، وتقاتلوا مع العبيد، وهجموا علي دوران المحمل وفعلوا فيه أمور شنيعة إلي الغاية، فمال السلطان إلي كلام أمرائه السابقين، وأراد مسك جماعة كبيرة منهم، ونفي أخرين، وتفرقة جماعة أخر علي الأمراء[٢]

دور القرانصه نهاية عهد المماليك الجراكسه

نظراً لتجدد فئات القرانيص بتجدد السلاطين ومشترواتهم فقد تجمع فى عهد الغورى طوائف متعدده من القرانيص ما بين ظاهريه، وأشرفيه، وإينياليه، وخشقدميه، وقايتباهيه، وناصريه، ومماليك الظاهر قانصوه، ومماليك جانبلاط، والعادل طومان باى.[٣]، إلى جانب أن دور القرانصة ظهر جلياً وواضحاً في نهاية العصر المملوكي خاصة في عهد السلطان الغورى[٤]، فعندما عزم السلطان سليم الأول العثماني[٥] علي حرب المماليك حرباً شاملة[١]

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص٣٢٦ .

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص٢٢٧ .

(٣) راجع :ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص١٣-١٤.

(٤) لقب بالملك الأشرف أبا قانصوه الغورى وذلك عام ٩٠٦هـ وفرح الناس به فرحاً شديداً وكان قانصوه الغورى، قيل أنه كان يتهرب من كرسي السلطنة فقيل أن قانصوه الغورى أقوي أمراء زمانه رفض العرش حين عرضه الأمراء عليه سنة ١٥٠١م، بل كان يبكي، لكن ابن اياس أن الأمراء سحبوه وأجلسوه وهو يمتنع من ذلك ويبكي، وحين ألحوا عليه اشترط عليهم ألا يقتلوه، وأن يصرفوه بالمعروف إذا أرادوا عزله. ابن اياس، بدائع الزهور، ج٤، ص١٦- ص ١٧، قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص١٥٣، وكان الغورى كثير الدهاء ذا رأي وفطنة وكان شديد الطمع والظلم والفسقية بخيلاً محباً للعمارة فمن جملة عمارته الجامع والتربة وكان في نيته أن يدفن بها ووقف عليها أوقافاً كثيرة وما قدر له ان يدفن بها بل ذهب تحت سنابك الخيل ولم يعرف أحداً شخصه. الشافعي، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد عوض، ج٤، بيروت ١٩٩٨م، ص٦١ .

(٥) العلاقات بين الدولة المملوكية والدولة العثمانية تطورت من حين لآخر فتارة يسودها الود والوئام وتارة أخري يسودها الاضطراب فعلاقات الود ظلت قائمة حتي وفاة بايزيد الأول سنة ١٥١٢م، وولاية ابنه سليم الأول، ولما كان سليم وضع لنفسه خطة توسعية نحو الشرق، ومعني ذلك ابتلاع الدولة الاسلامية المجاورة والاصطدام بدولتي الفرس والمماليك فإن علاقات الود باتت معرضة للإنقلاب إلي غير عوده، ثم إن سليم العثماني لم ينظر إلي البحر الأبيض إلا علي اعتبار أنه بحيرة أو خليج عثماني وطمع في انتزاع الأراضي المقدسة من سيطرة المماليك حتي يدعم مركزه في العالم الإسلامي العربي وضد الشيعة الفرس بصفة خاصة. طرخان، إبراهيم علي، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ١٧٣، هذا إلي جانب أ نه بعد اعتلاء سليم عرش العثمانيين لم يرسل اليه الغوري رسالة تهنئة بالجلوس علي العرش، ولكنهما تبادلا الرسائل من بعد في مناسبات أخرى، وقد اتسمت المراسلات التي

أخذ السلطان الغوري المملوكي يعد العدة من جانبه عندما علم بذلك، فبدأ أولاً للعمل علي حل مشاكله الداخلية[٢] التي نشأت عن ثورة مماليكه السلطانية، من الجلبان الأحداث والقرانصة القدماء، بسبب تأخر رواتبهم، وهال الغوري أن ينغمس مماليكه في الفتنة، مع ما بالدولة من حاجة إلي الانصراف لشئون الحرب المنتظرة، ومع ما بها من فقر وارتباك مالي، بسبب استحواذ البرتغاليين علي معظم تجارة الهند وأرباحها، منذ أواخر أيام قايتباي، وضاق الغوري ذرعاً بتلك الفتنة، حتى أنه هجر الدور السلطانية بالقلعة، واحتجب بقصر المقياس بالروضة ثلاثة أيام، ولم يرجع إلي القلعة إلا بعد أن تدخل الأمراء بينه وبين مماليكه، علي أساس دفع الرواتب المتأخرة، غير أن الأمور لم تتعدل لمصلحة المماليك السلطانية نتيجة ذلك التدخل، فعمدوا إلي **التهديد بالثورة** مرة أخري، وغضب الغوري من تلك الحركات الصبيانية والعثمانيون علي الأبواب[٣]

وللسلطان الغوري مواقف من القرانصة اختلفت من موقف لآخر، فعندما علم السلطان الغوري وتحقق من أن السلطان سليم زاحف علي البلاد، جلس السلطان الغوري في الحوش وعرض أغاوات الطباق وهم رؤساء الثكنات المملوكية بالقلعة[٤]، فلما وقفوا بين يديه وبخهم بالكلام، وقال لهم لا تسمعوا للمماليك القرانصة الذين يثيرون الفتنة بيني وبينكم وتشمتون العدو فينا، وابن عثمان (يقصد سليم الأول) متحرك علينا ولابد من خروج تجريدة عن قريب، حَصلوا معكم ذهب ينفعكم إذا سافرتم والذي هو منكم متزوج يطلق زوجته، ما يبقي وراكم التفاتة إذا سافرتم في التجريدة[٥] وأخذت القاهرة تموج بالاستعداد وبات الناس ولا حديث لهم في طول البلاد وعرضها إلا اقتراب يوم الفصل بين السلطان المملوكي و بين ابن عثمان علي حد قول المعاصرين[٦]، وله موقف أخر من المماليك القرانصة أو القرانيص[١]، فنظراً

تبودلت بين السلطانيين بشيء من الود الظاهري أحياناً، وبالشك والحذر أحياناً أخرى، ثم تطورت إلي توتر فتهديد فوعيد. أحمد فؤاد متولى، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع المصادر التركية والعربية المعاصرة له، القاهرة سنة ١٩٧٦م، ص ٩٨.

(١) أسامة حسن، طومان باي أخر سلاطين المماليك، الجيزة ٢٠٠٠م، ص ٢٨ .

(٢) راجع سعيد عاشور، العصر المماليكي، ص١٨٥.، مصر فى عصر دولة المماليك، ص ص ٥٥-١٣٠

(٣) محمد مصطفي زياده، نهاية السلاطين المماليك، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مجلد ٤، القاهرة ١٩٥٢م، ص ٢١٣ .

(٤) محمد مصطفي زياده، نهاية السلاطين المماليك في مصر، ص ٢١٣ .

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٦ .

(٦) زيادة، نهاية السلاطين المماليك، ص ١٩٧.

لتأكده من زحف العثمانيين علي البلاد وهو يأخذ بخواطر المماليك القرانصة ويرضيهم بكل ما يمكن، واهتم بأمرهم فأمر بصرف اللحوم التي كانت منكسرة، وأعطاهم ثمن الخيول التي لهم بالديوان[٢]

هذا وقد أكمل السلطان النفقة علي العسكر قاطبة من قرانصة وجلبان، وعندما أخبرهم أن السفر قد قَرُب ميعاده اضطربت احوال العسكر، وارتجت القاهرة، وعز وجود الخيل، والبغال، والأكاديش، وغُلقت الطواحين وامتنع الخبز من الأسواق، وكذلك الدقيق، ووقع القحط بين الناس وضج العوام، وكثر الدعاء علي السلطان وغُلقت أسواق القماش واضطربت أحوال الناس والقاهرة[٣]،وكان الغورى يتمني الصلح حتي أمرائه من المماليك كانوا ينتظرون جواب بالصلح من الرسل التي بعثها الغورى للسلطان سليم، إلا أن السلطان سليم رفض الصلح، وقبض علي رسول الغورى، ووضعه في الحديد، وحلق لحيته، وربما أرسل إليه الغورى رسلاً آخرين، فقطع سليم رؤوسهم، مما جعل الغورى يدفع بطوالع جنده إلي مرج دابق، من مدن الحدود قرب حلب، وقال إنها إرادة الله، وخوفاً من غدر أمرائه، فإنه جمعهم وأخذ عليهم أغلظ الأيمان والمواثيق علي طريقة المماليك، بأن جعلهم يمشون تحت السيوف المعروشة فوق الرءوس[٤] وأن لا يخونوا ولا يغدروا، فحلفوا كلهم علي ذلك، أما غير الأمراء من الجند فإنهم مروا تحت سيفين علي هيئة قنطرة ،عنوان القسم علي الولاء[٥]، وكان مجموع مماليك الأمراء المقدمين الذين توجهوا صحبة السلطان الأمير الدوادار الثاني أحد الأمراء المقدمين[٦] ذهب إلي المعركة ومعه من مماليكه ستة وسبعين مملوكاً يقال أنهم كلهم قرانصة، وقيل أن عدة المماليك السلطانية الذين خرجوا إلي التجريدة من قرانصة، وجلبان، وأولاد الناس خمسة

---

(١) للقرانيص أدوار هامة في العصر المملوكي الجركسي فقد كان يعتمد عليهم الكثير من السلاطين المماليك لإجراء بعض المهام خاصة فيما يتعلق بالقضاء علي العربان، فقد ألقي السلطان الغوري عليهم ببعض المهام ففي عام ٩٢٢هـ، عرض جماعة من المماليك القرانصة فلما عرضهم عين منهم جماعة للشرقية يكونون مع الكاشف حيثما يسرح، وعين منهم جماعة مع كاشف الغربية، وجماعة منهم إلي البحيرة وجماعة منهم إلي الطرانة وجماعة إلي المنوفية وجماعة إلي منفلوط، وجماعة إلي الجيزة، وألزمهم بأن يكونوا مع الكشاف لرد العربان إذا ظهر منهم فساد البلاد في غيبة السلطان إذا سافر. ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٢٤ .

(٢) ابن اياس، أبوالبركات، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٣ .

(٣) ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ص ٢٧– ٢٨ .

(٤) محمد مصطفي زياده، نهاية السلاطين المماليك، ص ٢١٧ .

(٥) اسامه حسن، طومان باي أخر سلاطين المماليك، ص ٣٠.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٦٨.

آلاف نفر علي ما قيل[١]، وعندما بدأ الغورى يستعد لملاقاة السلطان سليم في حلب أخذ في جمع جنوده وعتاده، وفي تلك الأوقات العصيبة لم يتخل المماليك عن عبثهم ولم يقدروا خطورة الموقف الذي أوشك أن يعصف بهم جميعاً[٢]، بينما الغوري يستعد للقاء العثمانيين وصلت إليه وهو لا يزال في مصر رسالة من خاير بك نائب حلب[٣]، يذكر له فيها أن السلطان العثماني ينوي محاربة الفرس.

ومن الجدير بالذكر أن خاير بك كان علي اتصال بالعثمانيين سراً منذ وقت مبكر ويريد من وراء رسالته إلي الغورى أن يثبط همته لكي يتمكن السلطان العثماني من مباغتته والقضاء عليه، ولكن الغورى لم يلقي اهتماماً إلي كلام نائبه علي حلب رغم أنه لم يشك في ولائه واستمر في استعداداته، ولكن خاير بك أوعز إلي سيباي نائب الشام لكي يقنع السلطان المملوكي بأن العثمانيين لن يفكروا في محاربة المماليك، فانخدع سيباي بكلامه، وأرسل إلي الغوري رسالة بهذا المعني ضمنها شكواه من الغلاء الموجود بالشام وقلة المؤن بها وعدم جدوي سفر السلطان الغوري الي الشام وإن كان العدو متحرك فنحن له كفاية [٤]، لكن الغوري سافر إلي حلب، وعندما سافر السلطان الغوري إلي حلب لتجهيز العسكر فعل فعلة شنعاء بالمماليك القرانصة فقد أنفق علي أولاد الناس، وأصرف للعسكر ثمن اللحم عن ثلاثة شهور، ثم فرق علي مماليكه الجلبان من حواصل قلعة حلب عدة سلاح، وفرق عليهم أيضاً خيولاً ما لها عدد، وصار ينعم عليهم بالعطايا الجزيلة من مال وخيول وسلاح، ولم يعط المماليك القرانصة شيئاً فعز ذلك عليهم في الباطن[٥].

---

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ص ٤٤ – ٤٥ .

(٢) أحمد فؤاد، الفتح العثماني للشام ومصر، ص ١٢٠.

(٣) خاير بك هذا هو صاحب دور الخيانة العظمي التي أدت الي زوال الدولة المملوكية علي يد العثمانيين فيما بعد، فعندما توفي قايتباي وصارت السلطنة لإبنه محمد، ذهب رسوله خاير بك الذي حمل نبأ السلطنة الجديدة إلي اسطنبول ببالغ الحفاوة والإكرام، وربما كانت إقامته في اسطنبول هذه المرة أول عهده بالدور الخائن الذي كلف مصر استقلالها ومركزها في الشرق الأوسط، والعالم الإسلامي كله لعدة قرون. زيادة، نهاية السلاطين المماليك، ص ٢١٠.

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٢١، ابراهيم علي طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ١٧٦، أحمد فؤاد، الفتح العثماني للشام ومصر، ص ١٢١ .

(٥) ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٦٣ .

وقد قسم الغورى عسكره بإزاء عسكر سليم، فوضع في المقدمة سيباي نائب الشـــام [١]، وميمنة علي رأسها جان بردي الغزالي نائب حماه، وميسرة علي رأسها خاير بـــك[٢] نائـــب حلب[٣]، أما هو فقد أقامس لنفسه في الوسط سرادقاً كبيراً، وقد أحاط به الخليفة وقضاة القضاة وأعلام رجال الصوفية[٤].

دارت المعركة في يوم الأحد ١٥ من رجب سنة ٩٢٢هـــ / ٢٤أغسطس ١٥١٦م، فـــي يوم شديد الحرارة، وقد وقع عاتق القتال في بداية المعركة علي المماليك القرانصـــة[٥]، وأول من برز إلي قتال العثمانيين الأتابكي سودون العجمي، وملك الأمراء ســـيباي نائـــب الشـــام والمماليك القرانصة دون الجلبان، فقاتلوا قتالاً شديداً، هم وجماعة من النواب فهزموا عســـكر

---

(١) أحس سيباي نائب الشام بوجود مراسلات سرية بين خاير بك وسليم علي حد قول ابن زنبل فأرسل إلي الغوري فيما بعد، يخبره بخيانة خاير بك ومراسلاته المستمرة مع سليم قائلاً والذي يعلم به مولانا الســـلطان أن خيـــر بـــك ملاحي علينا ومكاتيبه لا تنقطع من عند ابن عثمان في كل حين. ابن زنبل الرمال، آخرة المماليك واقعـــة الســـلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق: عبدالمنعم عامر، القاهرة سنة١٩٦٢م، ص ٤، متولي، أحمد فؤاد، الفتح العثمـــاني للشام ومصر، ص ١٠١، لكن سيباي عندما علم وتأكد من حقيقة خيانة خاير بك وأمسك بتلابيبـــه، وصـــاح مناشـــداً الغوري بقوله يا مولانا السلطان إذا أردت أن تنتصر علي عدوك بإذن الله فاقتل هذا الغادر الخائن في الحال فتـــدخل جان بردي الغزالي نائب حماة وهو شريك خاير بك في الغدر والخيانة، ونصح للسلطان بعدم الإصـــغاء إلـــي هـــذه التهم، لئلا يفت ذلك في عضد سائر الأمراء، ولم يكن الغوري بحاجة إلي النصيحة، فإنه لم يعتقد ألبته في إخـــلاص سيباي، وبذلك ظل خاير بك حراً طليقاً، ليتم دوره المشين. زيادة، نهاية السلاطين المماليك في مصر، ص ٢١٨ .

(٢) هو جاركسي الجنس أبوه اسمه يلباي، وأنه ترقي في أيام قايتباي، كما اصبح فـــي أيـــام الغـــورى مـــن أكبـــر مساعديه، حتي أنه كان قد أرسله في سفارو إلي اسطنبول في أيام بايزيد الثاني عـــام ٩٠٣هـــ / ١٥٤٧م، وظـــل يترقي في الوظائف المملوكية إلي أن أصبح نائباً علي حلب، وإن وصف بأنه كثير الحيل والخداع، منها أنه كان دائم الإتصال بسليم، مما جعل سيباي نائب الغورى بالشام يتهمه بالخيانة، واراد قتله ولكن الغورى لم يوافق علـــي ذلـــك. أسامة حسن، طومان باي أخر سلاطين المماليك، ص٥٦ .

(٣) قيل أنه كانت هناك مراسلات سرية بين خاير بك والسلطان سليم اتسمت بالصداقة فقد أرسل سليم رســـالة الـــي خاير بك لعلها كانت في الخفاء مصحوبة ببعض الهدايا لتوطيد أواصر الصداقة بينهما، وقد أرسل خـــاير بـــك رداً علي هذه الرسالة، متضمناً شكره لسليم علي الهدية التي أرسلها إليه مع رسوله مذكراً إياه بأنن ما جاء في رسالته من أن المملكتين شيئاً واحداً أدخل عليه الفرح والسرور و مؤكداً له علي أن المملكتين مملكة واحدة وعلي أنه ينتظر ما يكلفه به لكي يقوم به خير قيام. أحمد فؤاد، الفتح العثماني للشام ومصر، ص ص ٩٩ – ١٠٠ .

(٤) أسامه حسن، طومان باي أخر سلاطين المماليك، ص٣٠.

(٥) قيل أن السلطان الغورى أمر بأن يخرج للحرب القراصنه (يسمون الوغاد) لكونهم أعرف بالحرب من الجلبـــان، وكان قصده ينقطع القرانصه ليكتفى شرهم ويصفو له الوقت فإنه كان يحسب حسابهم خوفا من مكـــرهم، هـــذا الـــى جانب أن العسكر كله مختلف مع بعضه مفسود النيه، ليس لهم رأى يرجعون إليه ولا تدبير يقفون عليه فمـــن ذلـــك إنخرط نظامهم. راجع :ابن زنبل الرمال، أخرة المماليك، ص١٠٠.

ابن عثمان وكسروهم كسرة مهولة، وأخذوا منهم سبعة صناجق، وأخذوا المكاحل[١] ورماة البندق، فبدأ السلطان سليم في التقهقر لتنظيم قواته من جديد، فقد قُتل من عسكره، ما يقارب العشرة آلاف شخصاً، هذا بالإضافة إلي الخسائر العديدة، وكان النصر لعسكر السلطان الغوري أولاً[٢] وذلك بسبب المماليك القرانصة، فقد أحاطت الخيانة منذ بدايتها في أرض المعركة، فقد سرت إشاعة مغرضة من نائب حلب وهو خاير بك بأن الغورى يريد أن يتخلص من القرانصة[٣]، فقيل أن السلطان قال لمماليكه الجلبان لا تقاتلوا شيء وجعلوا المماليك القرانصة تقاتل وحدهم[٤]، وهم مماليك السلاطين والأمراء السابقين، وأنه طلب من الجلبان وهم مماليكه ألا يقاتلوا، مما جعل القرانصة الذين كانوا في المقدمة يتوقفون عن القتال، إذ فترت همتهم لأنهم رأوا فيها خطة دنيئة من جانب السلطان أراد بها أن يكونوا الُطعمة الأولي لنيران العثمانيين انتقاماً منهم لما ارتكبوه في حقه سابقاً، قال القرانصة بعضهم لبعض نحن نقاتل بأنفسنا مع النار وأنت أي السلطان واقف تنظر إلينا بالعين الشامته، ما تأمر أحداً من مماليكك يخرج إلي الميدان[٥] مما ترتب عليه الهزيمة الكاملة، وفرارهم بجميع

---

(١) زيادة، نهاية السلاطين المماليك في مصر، ص ٢١٩ .

(٢) أسامه حسن، طومان باي أخر سلاطين المماليك، ص ٣٠.

(٣) قيل أن السلطان الغورى استشعر مبادىء فتنة أراد الأمراء إحداثها وأرادوا أن يجعلوها مقدمة لخلعه من السلطنة فعمل علي اجتماع الأمراء والمقدمين وأمرهم بالجلوس وجلس بينهم كأحدهم وكانت عادة الأمراء الوقوف بين يدي السلطان ولا يجلسون معه إلا في السماط فقط فلما جلسوا وجلس معهم أنكروا ذلك وكانوا يتعجبون من ذلك وكلهم أذان صاغية إلي ما يقوله السلطان، فقال لهم ما جمعتكم إلا لأسألكم سؤالاً خطر لي وأطلب منكم جوابه علي الوجه الذي ترونه صواباً، فقالوا نعم قال أسألكم عن جماعة جاءوا إلي رجل وأودعوه صرة من الدراهم مربوطة ومختومة فقال أنا أستودع منكم هذه الوديعة بشرط أن تأتوني وتطلبوا وديعتكم بلا نزاع معي ولا خصومة فأرد وديعتكم اليكم فقالوا نعم قبلنا منكم هذا الشرط وأودعوه ومضوا ثم عادوا إليه بعد مدة وقالوا نريد الوديعة بنزاع شديد ومخاصمة ومضاربة قوية فقال لهم هذه وديعتكم حاضرة خذوها بلا نزاع ولا ضراب معي كما شرطت عليكم فقالوا لابد من المخاصمة والنزاع معك فأيهم علي الباطل وأيهم علي الحق ففهموا مراده واستعفوا منه فقال لهم أنا ما جلست معكم إلا لتعلموا أني كأحدكم لا أمتاز عليكم بشيء وهذه السلطنة أسلمها لأيكم أرادها ولا أنازع عليها فإنما أنا رجل من الجند فقبل كل منهم يده وأذعنوا له بالسلطة وسألوه استمراره فيها وسكنت الفتنة بهذا التدبير وغفلوا عنه مدة واشتغلوا عنه بضروريات وطالت معه الحيل إلي أن صار يأخذ منهم واحدا بعد واحد ويتغافل عنهم ثم يحصل حيلة أخري وعلة اخري لأحدهم فيأخذه بها ويوقع بين الأثنين ويأخذ هذا بذاك وذاك بذا ويدس لهم الدسائس من الطعام والسم ونحوه حتي أفني قرانصتهم ودهاتهم إلا قليلاً منهم. الشافعي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج ٤، ص ٦٢ .

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٦٩ .

(٥) ابن زنبل، آخرة المماليك، ص١٦.

فئاتهم، وكان خاير بك نائب حلب[١] قد أشاع اشاعة أخري وهي أن السلطان الغوري قد قُتل[٢]، وبعدها هرب من المعركة، وتبعه جان بردي الغزالي نائب حماة، حيث كان كلاهما يري نفسه أنه أحق بالسلطنة من الغورى، وقد حاول الغورى أن يوقف فرار المماليك حيث أصبح في عدد قليل، وكان ينادي بصوته : هذا وقت المرؤة، هذا وقت النجدة[٣]، إلا أن المماليك استمروا يفرون، حينئذ طوي حامل راية السلطان الصنجق[٤] السلطاني – رايته، وحدث شلل مفاجيء للسلطان وخرجت روحه، بعد أن انقلب علي فرسه، وقُتل تحت سنابك الخيل[٥] يبدو أن رأسه قد قُطعت[٦]، حتى لا يتعرف عليه العثمانيون، فلم تظهر له جثة بين القتلى، وكأن الأرض ابتلعتها في الحال، من كثرة القتلي، فقد قُتل في موقعة مرج دابق من عسكر المماليك القرانصة الكثير والكثير من أمراء مصر والشام، ولم يُقتل من المماليك الجلبان إلا القليل، ولا ظهر لهم فروسية فكأنهم خُشب مسندة[٧]، فقُتل من الأمراء المقدمين ثلاثة وهم سيباي نائب الشام[٨]، وتمراز نائب طرابلس[٩]، وطراباي نائب صفد، وأصلان

---

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٦٩ .

(٢) طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ص ١٨١ – ١٨٢ .

(٣) زيادة، محمد مصطفي، نهاية السلاطين المماليك في مصر، ص ٢٢١ .

(٤) في الأصل هو الرمح ويقصد به هنا العلم السلطاني الذي يشد إلي رمح يركب به السلطان ويجمله العلمدار. القلقشندي، صبح الأعشي، ج ٤، ص ٤٥٦ .

(٥) عبدالقادر بدران، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق: زهير الشاويش، ج١، ط٢، بيروت ١٩٨٥، ص١٧٦.

(٦) يقال أن الأمير علان رأس القرانصة ومعه الأمير أقباي الطويل اتفقا علي قطع رأس الغوري والقائه في جب حتي لا يقطعه العثمانيون ويشهروا به وفعلاً نفذا ما اعتزما عليه، وأرسل علان عبداً من عبيده قطع رأس الغوري ودفنه في جب، ابن زنبل، آخرة المماليك، ص ١٨، ويذكر ابن طولو في مفاكهة الخلان، أن رأس الغوري قطعت وأرسلت إلي استانبول، أما جثته فيرجح أحد احتمالين في مصيرها، فإما ان تكون قد دفنت عند الشيخ داود بأرض دابق، أو دفنت في حلب وقيل في اختفاء جثة السلطان الغوري وموته أشياءً كثيرة. ابن طولون، مفاكهة الخلان، ص ٢٤، أحمد فؤاد، الفتح العثماني للشام ومصر، ص ص ١٦٠ –١٦١، حاشية٢ .

(٧) أسامه حسن طومان باي أخر سلاطين المماليك، ص ٣٠.

(٨) قيل أنه بني مدرسة تسمي المدرسة السيبائية عرفها النعيمي بأنها خارج باب الجابية وشمالي بئر الصارم والتربة بها والزاوية أيضاً ولعل الصحيح أن التربة والبئر شماليها، وقيل أنه بناها من سنة خمس شرة وتسعمائة إلي سنة إحدي وعشرين وجعلها جامعا ومدرسة وزاوية وتربة عمرها بالحجر الأبلق والرخام ولم يدع بدمشق مسجداً مهجورا ولا مدفنا معمورا إلا وأخذ منه من الأحجار والآلات والرخام والعواميد ما أحب وأراد وتقلد ذلك حتي سماها علماء دمشق جمع الجوامع، لكنه لم يهنأ بها وسافر مع الغوري إلي مرج دابق، لكنه قتل في المعركة ولم يدفن بمدفنه .بدران، عبدالقادر، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، جـ١، ص ١٧٥.

(٩) الأمير سيف الدين قصروه بن عبدالله من تمراز الظاهري نائب دمشق، أصله من مماليك الظاهر برقوق من إنيات جرباش الشيخي من طبقة الرفرف وترقي بعد موت أستاذه الظاهر إلي أن صار من جملة أمراء العشرات ثم

نائب حمص، والأتابكي سودون العجمي، وأقباي الطويل، وأسُر قانصوه بن سلطان جركس، وغير ذلك جماعة كثيرة من أمراء دمشق وأمراء حلب وطرابلس [١]، ولا شك أن انتصار العثمانيين علي المماليك كان نتيجة لما حدث من تصرف القرانيص هؤلاء فهم يعتبروا السبب الأول للهزيمة البشعة التي لحقت بالمماليك وقائدهم أى سلطانهم الغورى[٢] وذلك بسبب الخيانة التي لعبت دورها إلي جانب التفكك الواضح والخلاف الذي كان شديداً بين طوائف المماليك[٣]، فلولا ظهور الخيانه لأنتصر الغورى وجنوده أمرائه[٤].

وعند تحليلنا لموقف خاير بك نجد أن خيانته ربما يكون مبعثها خوفه علي حياته، فقد أخذ الغوري منذ أن تولي السلطنة تتبع القرانصة وذوي الشوكة والقوة من أمراء الجراكسة فيقتلهم شيئاً فشيئاً، حتي من إبتعَد منهم مثل خاير بك نائب حلب، صار يخشى منه أن يدس إليه سماً فيقتله به، كما قتل أخاه قانصوه بن مال باي بن عبدالله الشهير بقانصوه البرج بن عبدالله من قبل وأخذ ماله ظلماً[٥].

هكذا هُزم الغورى وجيشه هزيمة منكرة في موقعة مرج دابق (قرب حلب)، وقتل معظم أمرائه ومماليكه، وبعد مقتل الغوري بدا اختيار طومان باي نائب الغيبة[٦] أمراً لا محيص عنه، فاتفق الأمراء الموجودون بالقاهرة علي اختياره دون أن يفكروا في سلطنة محمد بن الغوري حسبما جرت به عادة المماليك عند اختيار سلطان جديد، وتمنع طومان باي ثم قبل علي العادة، ونودي به سلطاناً في ١١ أكتوبر سنة ١٥١٦م، وعندما وصل جان بردي الغزالي في فئة من الأمراء الذين تخلفوا قبلا بدمشق فاستاء لقيام طومان باي في السلطنة،

أمسكه الملك المؤيد وحبسه مدة ثم أطلقه في أواخر دولته وعندما آل التحدث في المملكة للأمير ططر أنعم علي تمراز بإمرة مائة وتقدمة ألف ثم صار رأس نوبة النوب ثم أمير أخور كبيرا في أواخر دولة الملك الصالح محمد بن ططر ودام علي ذلك سنين إلي ان نقله السلطان الملك الأشرف برسباي إلي نيابة طرابلس بعد عزل إينال النوروزي واستمر علي نيابة طرابلس سنين. ابن تغري بردي النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ١٩٩

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص٧١ .

(٢) أسامه، طومان باي أخر سلاطين المماليك، ص ٣١ .

(٣) قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ١٥٤ .

(٤) راجع: محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك وإنتاجه العلمى والأدبى، جـ١، ق١، ص١٨١.

(٥) ابن الحنبلي، در الحبب في تاريخ أعيان حلب، تحقيق: محمود الفاخوري، ج١، ٢، ق١، دمشق سنة ١٩٧٢ – ١٩٧٣، ص ص ٤٤٩ – ٤٥٠، أحمد فؤاد، الفتح العثماني للشام ومصر، ص ١٢١ .

(٦) نائب الغيبة وهو الذي يترك إذا غاب السلطان والنائب الكافل وليس إلا لإخماد الثوائر وخلاص الحقوق القلقشندي، صبح الأعشي، ج ٤، ص ١٨، ج٧، ص ١٦٨ .

وعزم علي إتمام الدور الذي بدأه الخائن الأول خاير بك [١]، والشيء الغريب حقاً هو دخول سليم في صراع مباشر مع طومان باي، الذي كان قد أعُلنت سلطنته في مصر، بعد مقتل قانصوه الغورى، في فترة حرجة، تعتبر من أحرج فترات مصر، ومع ذلك فلا نعرف لأول وهلة حقيقة مقصد سليم، بعد انتصاره علي الغورى في مرج دابق، ولكنا يمكن أن نرجح استمرار سليم الأول في حرب المماليك كان راجع إلي تحريض خاير بك بالذات، الذي كان نائباً للغورى في حلب، وكانت خيانته من أسباب هزيمته[٢]

علي كل الأحوال كانت الخطوة التالية لسليم الأول بعد مرج دابق، هو استيلاؤه علي حلب أكبر مدن الشام، فيذكر المؤرخون أنه دخلها بدون مقاومة[٣]، وأنها زيُنت له وأوقدت الشموع ليلاً، وما لبث خاير بك أن أظهر حقيقة غدره، فخلع زى المماليك، والتزم بزي العثمانيين، وأصبح يكتب للأمراء والمماليك، ويرغبهم في الدخول تحت طاعة سليم، ويعدهم بأن يبقي كل أمير في وظيفته، بحيث سماه سليم سخرية (خاين بك) بدلاً من خاير بك، كذلك قد يكون سهل لسليم أخذ حلب، لأن أهلها كانوا غاضبين من الغورى ومماليكه، بسبب أنهم قبل انتقالهم إلي مرج دابق أساءوا معاملة أهلها وحينما دخل سليم حلب أظهر منتهي القسوة فقتل كل من التجأ إليها من المماليك[٤]، أما الشيء الغريب هنا أن المماليك أظهروا في تلك الأيام العصيبة جهلاً واستهتاراً بخطورة الموقف، إذ أخذوا في مساومة السلطان حول النفقة المعتادة عند خروجهم للقتال، ولم يردهم إلي شيء من العقل سوي منظر إخوانهم العائدين بعد هزيمتهم المحزنة شمال غزة في أسوأ حال إلي القاهرة[٥].

ويمكن القول أن طومان باي استعد لمقابلة العثمانيين بجوار القاهرة في المطرية في مكان اسمه الريدانية، والتقي سليم الأول بطومان باي في معركة تسمي كذلك الريدانية، ونشبت بين الفريقين معركة حامية، وقتل طومان باي بيده سنان باشا الصدر الأعظم للسلطان سليم العثماني، وفي اعتقاد طومان باي أنه قتل السلطان العثماني، غير أن المعركة انتهت باندحار المماليك وفرار طومان باي، بعد أن بقي في الميدان حتي النهاية[٦] وهُزم طومان

---

(١) محمد مصطفي زياده، نهاية السلاطين المماليك في مصر، ص ص ٢٢٠ – ٢٢١ .

(٢) أسامه حسن، طومان باي أخر سلاطين المماليك، ص٣٣.

(٣) زيادة، نهاية السلاطين المماليك في مصر، ص ٢٢١ .

(٤) أسامه حسن، طومان باي أخر سلاطين المماليك، ص٣٥.

(٥) زيادة، نهاية السلاطين المماليك في مصر، ص ٢٢٣ .

(٦) محمد مصطفي زياده نهاية السلاطين المماليك في مصر، ص ٢٢٥ .

باي، وقيل أن السبب في هذه الهزيمة هو خيانة الأمير جان بردي الغزالي[١]، فقد أطلع الغزالي خاير بك علي خطة طومان باي العسكرية، وعلي الطرق التي يجب علي سليم اتبعها لقهر المماليك وذلك قبل المعركة الحاسمة في الريدانية[٢]، وقام بإخفاء الطوارق والمكاحل بناءً علي طلب خاير بك مما جعل الجيش العثماني يتجنب تحصينات المماليك في الريدانية[٣]، وقد ذكر ابن زُنبل عنه أنه كان يوجد اتفاق باطني بينه وبين خاير بك، الذي خان الغورى، ويبدو أن طومان باي قد تنبه لخيانة جان بردي الغزالي، في أخر لحظة، فأراد قتله، لولا أن الأمراء منعوه لوصول العثمانيين إلي الريدانية وذلك في يوم الخميس ٢٩من ذي الحجة سنة ٩٢٣هـ/٢٢يناير ١٥١٧م[٤]، هذا بالإضافة إلي أن أول من أخبر سليماً بالنصر في الريدانية كان خاير بك الأمير المملوكي الخائن، الذي صاحبه في زحفه علي مصر، وأصبح من أقرب أعوانه، ويبدو أن خاير بك دخل القاهرة قبل سليم ليستولي علي القلعة التي أخذها بدون مقاومة إذ لم يكن بها أحد[٥]، هذا وقد كانت موقعة الريدانية قد قررت مصير الإمبراطورية المملوكية تقريراً[٦] نهائياً بزوالها، وقُتل طومان باي شنقاً علي باب زويلة، بعد أن بذل جهوداً مضنية للدفاع عن مصر، لكن الدولة المملوكية كانت قد سقطت بالفعل، ولم تجد محاولات طومان باي شيئاً في إحياء جسد الدولة الذي كان قد مات وحانت ساعته الأخيرة[٧]

هكذا من الوريقات السابقة يتضح لنا أن القرانصة أو القرانيص كانوا طائفة من المماليك السلطانية، وكان لهم وضع مميز تماماً في ساحة القتال حيث يقع عبء الحرب كلها علي هؤلاء القرانصة، أو علي أصح تعبير علي عاتق مماليك السلاطين السابقين، وخاصة المماليك القرانصة، وقد كان القرانصة أقل مالاً ورجالاً، إلا أنهم أفضل بكثير في أعمال الحرب، وأعرق بتصريف الأمور، غير أنهم ظلوا في إمرتهم دون ترقية، وهذا هو السبب في أن هذا الفريق ظل حاقداً كثير الثورات، وظلت القرانصة مادة للفتن والخيانات طوال هذا العصر، فكانوا يتسلمون نفقة أقل بكثير إذا قورنت بالنفقة التي كانت تُصرف للجلبان بالرغم من المسئولية التي كانت مُلقاة علي عاتقهم، وإن كانت هذه التفرقة أقل بكثير مما كان يحدث

---

(١) حسن، أسامه، طومان باي أخر سلاطين المماليك، ص٣٥.

(٢) ابن زنبل الرمال، آخرة المماليك، ص ص ٤٥ –٤٦، أحمد فؤاد، الفتح العثماني للشام ومصر، ص ١٨٠.

(٣) أحمد فؤاد، الفتح العثماني للشام ومصر، ص ١٨٤ حاشية ١ .

(٤) ابراهيم علي طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ١٨٩ .

(٥) أسامه حسن، طومان باي أخر سلاطين المماليك، ص ٤٠.

(٦) محمد مصطفي.زياده، نهاية السلاطين المماليك في مصر، ٢٢٤ .

(٧) قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ١٥٥ .

للسيفية الذين كثيراً ما لا يتسلمون رواتبهم ومستحقاتهم علي الإطلاق، مما كان يثير التمـــرد بين صفوفهم .

هكذا نجد كيف كان القرانصة والسيفية يعاملون معاملة سيئة فيما يتعلق برواتبهم، فـــي حين أنه كانت تصرف كل مخصصات الجلبان بالكامل، وخاصة المماليك القرانصة للسلطان الذي سبقه مباشرة، هذا إلي جانب أن الأجلاب كانوا يستولون علي إقطاعات القرانصة، ولـــم يتورعوا في سبيل ذلك عن القتال والأساليب الملتوية، يتضح لنا أن المماليك القرانصة كـــانوا لا ينتمون الي مرتبة أو أقسام معينة في الجيش المملوكي، كما أنهم لا يحتلون مركزاً مرموقاً في سلطنة المماليك، هذا بالرغم من أنهم جند سلطانية، ونجد أن العصر المملوكي الجركسي كان بمثابة صراع وفتن واضطراب كان سببها كل من المماليك القرانصة والأجلاب، وكـــان الصراع بسبب التأخر في صرف النفقة والكسوة، أو بخســـهم حقهـــم فـــي صـــرف النفقـــة فيصرفوها إليهم بالقليل عن حقهم، نجد أن المماليك بمختلف طوائفهم كـــانوا مصـــدر قلـــق مستمر بالنسبة للدولة خاصة إذا وعدتهم الدولة بالقيام بمهمة معينة وحددت لهم ما يتقاضـــونه من أموال، واكتشفت بعد ذلك أنها غير قادرة علي النفقة فيهم بحسب ما حددته لهـــم، وذلـــك لعجز في خزانة الدولة وعدم تواجد المال المخصص لهذه النفقة، فخوفاً مـــن ثـــورة هـــؤلاء المماليك كان هناك من يدبر الأمور بطريقة أو بأخرى ويتخذ الإجراءات المختلفة حتي ينفقوا علي هؤلاء المماليك بمختلف طوائفهم ومن هؤلاء المماليك القرانصة، هذا وقد كان للقرانصة دور في تنصيب بعض من الأمراء لمنصب ما في الدولة مثلما حدث مع الأمير اينـــال فقـــد وقف جانبه المماليك علي اختلاف أشكالهم من مؤيدية وظاهرية وسيفية وغير ذلك وهو مـــا يطلق عليهم اسم القرانصة كما سبق أن ذكرنا.

وللأزمات الاقتصادية دور هام في تأخر رواتب المماليك السلطانية خاصة في أواخـــر العصر المملوكي، فنجد أن المماليك بطوائفهم كافه ثاروا علي السلطان قانصوه الغورى بسبب تأخر الرواتب، فشكي السلطان من أن الخزانة خاوية والمماليك كثيرة فمن أين يدفع لهـــؤلاء المماليك ؟ ثم تكررت الحكاية في العام التالي حين تأخرت رواتب المماليك ثلاثـــة شـــهور، فتمردوا علي السلطان وهددوه، فأخذ يستولي علي أموال الناس قسراً وأرغمهم علـــي دفـــع الضرائب والإيجارات لمدة عشرة شهور مقدماً، ولا شك أن انتصار العثمانيين علي المماليك كان نتيجة لما حدث من تصرف القرانصة هؤلاء، فهم يعتبروا السبب الأول للهزيمة البشـــعة التي لحقت بالمماليك وقائدهم أى سلطانهم الغورى وذلك بسبب الخيانة التي لعبت دورها، إلي جانب التفكك الواضح والخلاف الذي كان شديداً بين طوائف المماليك، فقـــد تتبـــع الغـــوري القرانصة وذوي الشوكة والقوة من أمراء الجراكسة منذ أول يوم تولي فيه السلطنة فقد كـــان

يقتلهم واحداً بعد آخر، فربما كانت خيانتهم له سبباً في ذلك حتي من ابتعد منهم مثل خاير بك نائب حلب، صار يخشى منه أن يدس إليه سماً فيقتله به، كما قتل أخاه قانصوه بن مال بـــاي بن عبد الله الشهير بقانصوه البرج بن عبد الله من قبل وأخذ ماله ظلماً، غيـــر أن المعركـــة انتهت باندحار المماليك وفرار طومان باي، بعد أن بقي في الميدان حتي النهاية وهُزم طومان باي، وقيل أن السبب في هذه الهزيمة هو خيانة الأمير جان بردي الغزالي، فقد أطلع الغزالي خاير بك علي خطة طومان باي العسكرية، وعلي الطرق التي يجب علي سليم اتباعها لقهـــر المماليك وذلك قبل المعركة الحاسمة في الريدانية، وقام بإخفاء الطوارق والمكاحل بناءً علـــي طلب خاير بك مما جعل الجيش العثماني يتجنب تحصينات المماليك في الريدانية.

قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية

اولا: المصادر العربية

١. ابن اياس، أبوالبركات محمد ابن أحمد بن اياس الحنفى، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، حققها وكتنب لها المقدمه محمد مصطفى، الطبعه الثانيه ،الهيئه المصريه العامه للكتـــاب، الطبعه الأولى ببولاق سنة ١٣١١هـــ

٢. ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى حوادث الدهور فى مدى الأيام ووالشهور، تحقيق محمد كمال عز الدين، القاهره ١٩٩٠م.

٣. ابن تغرى بردى، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافى، تحقيق : أحمد يوسف نجـــاتى، القاهره، مطبعة دار الكتب المصريه، ، وهناك محقق أخر د. محمد محمد أمين، الهيئـــه المصريه العامه للكتاب .سنة ١٩٩٣م

٤. ابن تغرى بردي، التبر المسبوك فى ذيل السلوك، القاهره ،سنة ١٨٩٦م

٥. ابن تغرى بردى، مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، تحقيق :نبيل محمد عبدالعزيز أحمد، ج ٢ ،القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٤٨ .

٦. ابن خلدون: عبد الرحمن بن جابر الحضرمى الأشبيلى الأصل التونسى ثم القاهرى، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومـــن عاصـــرهم مـــن ذوى السلطان الأكبر، ٧ أجزاء، منتصف تمام تسعه وتسعين وسبعمائه، تونس

٧. ابن الحنبلي، در الحبب في تاريخ أعيان حلب، تحقيق : محمود الفاخوري، ج١ ،٢، ق١، دمشق سنة ١٩٧٢ – ١٩٧٣م .

٨. الخالدي: كتاب المقصد الرفيع المنشا الهادى إلى صناعة الإنشا، تحقيق: خليـــل شـــحاده، رساله دكتوراة، كلية الآداب، جامعة القديس أبي المحاسن يوسف، بيروت، سنة ١٩٨٨م

٩. ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي المعروف بابن دقماق، الجوهر الثمين فـــي سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق : سعيد عبدالفتاح عاشور، مراجعة د. أحمد دراج

١٠. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خـــاطر، ج١، ط١ ،بيروت ١٩٩٧م ،

١١. السخاوي (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن أبى بكـــر عثمـــان الســـخاوى)، التبـــر المسبوكفى ذيل الملوك القاهره، ١٨٩٦م.

١٢. السيوطي، جلال الدين السيوطى الشافعى، حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقـــاهره، جزءان

١٣. السبكي، تاج الدين عبدالوهاب السبكى، معيد النعم ومبيد النقم، بيروت ١٩٨٣م

١٤. الشافعي، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق:عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، ج ٤، بيروت ١٩٩٨م
١٥. شاهين، غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، صححه : بولس راويس، ، طبع باريس سنة١٨٩٣،
١٦. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الوسيط، تحقيق، طارق بن عوض، الحسيني، عبد المحسن بن إبراهيم، ج ١.
١٧. ابن طولون ، مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان، القاهره ١٩٦٤م.
١٨. الظاهري، خليل بن شاهين الظاهرى، زبدة كشف الممالك، تحقيق: بول ريفز، باريس د.ت
١٩. ابن عربشاه : أبو العباس شهاب الدين احمد بن محمد الدمشقى، عجائب المقدور في أخبار تيمور، تحقيق احمد الجمصى، بيروت ،ط١ سنة ١٩٨٦م
٢٠. العماد الحنبلي، المؤرخ الفقيه الأديب عبدالحي العماد الحنبلى، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ٥ أجزاء، عنيت بنشره مكتبة القدس ١٣٥٠م
٢١. العمري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيي، مسالك الابصار في ممالك الأمصار،تحقيق : د. أيمن فؤاد سيد، ج ٢، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة.
٢٢. العليمي ،مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ،تحقيق : عدنان يونس عبدالمجيد نباتة، ج ٢، عمان ١٩٩٩م
٢٣. ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم، تاريخ الدول والملوك، بيروت ١٩٣٦/ ١٩٤٢م.
٢٤. القلقشندي، أبى العباس على القلقشندى، صبح الأعشي، طبعة بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤ جزء
٢٥. ابن منظور، العلامه ابى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور المصرى الأنصارى الخزرجى، لسان العرب، ط ١، بيروت ٢٠ جزء،
٢٦. الماوردى، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب المصرى، الأحكام السلطانية، الطبعه الثانيه، القاهره سنة ١٩٦٦هـ .
٢٧. المقريزى، تقي الدين أحمد بن علي المقريزى، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشيه، محمد مصطفى زياده، مطبعة دار الكتب بالقاهره سنة ١٩٤٣م، لجنة التأليف والترجمه والنشر سنية ١٩١٤ جزأين، الجزء الأول ثلاثة أقسام، الجزء الثانى قسمان .

٢٨. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي المقريزى، المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار، جزءان، دار الطباعه المصريه ببولاق القاهره المعزيه سنة ١٢٧٠هـ.
٢٩. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويرى، نهاية الأرب في فنون الأدب، مركز تحقيق التراث سنة ١٩٩٢م .
٣٠. الأزهري، أبومنصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق : محمد عوض مرعب، ج٢، بيروت ٢٠٠١م .

ثانياً: قائمة المراجع العربية

٣١. ابراهيم طرخان، النظم الاقطاعيه فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى، القاهره سنة ١٩٦٠.
٣٢. ابراهيم على طرخان، الاقطاع الاسلامى، المجله التاريخيه المصريه، المجلد السادس، سنة ١٩٥٧م.
٣٣. إبراهيم طرخان، مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسه ،سنة١٩٦٠م ،
٣٤. إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط، تحقيق : مجمع اللغة العربية، ج ١، ص٣٣٢
٣٥. ابن زنبل الرمال، كتاب تاريخ السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد مع قنصوه الغورى سلطان مصر وأعمالها، القاهره ١٢٨٧هـ.
٣٦. ابن زنبل الرمال، آخرة المماليك واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق : عبدالمنعم عامر، القاهرة سنة١٩٦٢م.
٣٧. البيومى اسماعيل الشربينى، مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية عصر سلاطين المماليك، القاهرة سنة ١٩٩٧م.
٣٨. الجبرتي، عجائب الآثار، ج ١، ص ٤٢٢- ٤٢٣ ،
٣٩. أحمد عبدالكريم، العنصرية وأثرها في الجيش المملوكي، القاهرة ١٩٨٨
٤٠. أحمد فؤاد متولى، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع المصادر التركية والعربية المعاصرة له، القاهرة سنة ١٩٧٦م ،
٤١. أسامة حسن ، طومان باي أخر سلاطين المماليك، الجيزة ٢٠٠٠م
٤٢. السيد الباز العرينى، الفروسية فى مصر عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، بيروت
٤٣. السير وليم موير، تاريخ دولة المماليك فى مصر، ترجمه الى العربيه محمود عابدين وسليم حسن، الطبعة الأولى سنة ١٩٢٤

٤٤.عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، جزءان، مكتبة الأنجلو المصريه، سنة ١٩٦٤م.
٤٥.عبدالمنعم ماجد، التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك فى مصر، دراسه تحليليه للأزدهار والأنهيار، مكتبة الأنجلو المصريه سنة ١٩٨٨م.
٤٦.علاء طه رزق، السجون والعقوبات والعقوبات فى مصر عصر سلاطين المماليك، الطبعه الأولى سنة ٢٠٠٢.م
٤٧.عبدالقادر بدران ، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق : زهير الشاويش، ج١، ط٢، بيروت ١٩٨٥
٤٨.سعيد عبدالفتاح عاشور، الفلاح والإقطاع فى عصر الأيوبيين والمماليك،(الأرض والفلاح فى مصر على مر العصور) مقال بالجمعيه المصريه للدراسات التاريخية، القاهرة، سنة١٩٩٦م.
٤٩.سعيد عبدالفتاح عاشور ،العصر المماليكى فى مصر والشام، النهضة العربية، القاهرة ،ط١ ١٩٦٥م.
٥٠.سعيد عبدالفتاح عاشور، مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، ١٩٥٩م
٥١.قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك (التاريخ السياسى والعسكرى)، ط١، القاهرة ١٩٩٧م.
٥٢.محمد مصطفي زياده، نهاية سلاطين المماليك، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ٤ مايو ١٩٥١
٥٣.محمد احمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ،القاهرة ١٩٨٣م.
٥٤.محمد بهجت مختار عصفور، المصادرة فى مصر المملوكية الإسلامية من الفتح الإسلامى حتى نهاية عصر المماليك، القاهرة سنة ١٩٩٠م، ،
٥٥.محمد رمزى، القاموس الجغرافي للبلاد المصريه من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥، القسم الأول، البلاد المندرسه، مطبعة دار الكتب المصريه، سنة ١٩٥٣- ١٩٥٤م.
٥٦.محمد مصطفي زياده، نهاية السلاطين المماليك، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ،مجلد ٤، القاهرة ١٩٥٢م، ص ٢١٣ .
٥٧.محمد سالم العمايره، الجيش فى العصر المملوكى الثانى، ط١، سنة٢٠١٠م.
٥٨.محمود نديم أحمد فهيم، الفن الحربى للجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى، الهيئه المصريه العامه للكتاب، سنة ١٩٨٣م.

ثالثاً قائمة المراجع الأجنبية

1. Ayalon, David, Studies on the structure of the Mamlouk Army ,I,B,S,O,A, Vol, 15
2. Ayalon , the system of payment in Mamluk Military Society , in Studies … N. VIII
3. Ayalon , L esclavage du Mamelouk, Jerusalem, 1951.
4. Arnold, Thomas w, The Caliphat, london1965.
5. Ashtor, Eliyaho, histoir des prix et des Salaires dans L orient Medieval, paris, 1969.
6. Bjorkman, Beitrage zur Geschichte der staatskan-zelei im islamischen Agypten
7. Carl.f.perty; theCambridge history of Egypt
8. Demombynes, la syrie a le paque des Memlouks
9. De Sacy, Droit de propriete territorial en Egypt, lere serie, tomII.
10. Hassanien Rabie; the financial system of Egypt (A.H564-741) A.D 1169-1341); London, oxford university press – New york Toronto ,1972, p133
11. Lane-pool stanly, Ahistory of Egypt in the middle age, london1936.
12. Lane-pool, the story of Cairo, London, 1902.
13. Lewis,Bernard,Historians of the Middle East,London,1962
14. M.A.Cook (ed) studies in the Economic History of the middle East from the rise of Islam to the present day, London, 1970.
15. Muir, Sir William, the Mameluk or slaves Dynasty of Egypt, Amsterdam, 1968.
16. Poliak , Feudalism in Egypt , Syria , polastind and Lebanon
17. Polliok, A.M; some notes the feudalism system of the mamluk JRA (1937).
18. Queteremere, E, Memoire Sur Legypt Hist, des sultan Mamloks de Legypt, 2 vol, paris 1837-1845
19. Sato Tsugitaka; the evolution of the Iqta system under the mamluks-and analysisof al-rowk al-husami and-al-rowkEl-nasiri' memoris of the research department of the toy Bunko, No37 Tokyo, 1979.
20. . Wiet;(G) Histoir de la nation Egyptienne, tom IV. L Egypt Arabe.

رابعاً: شبكة النظم والمعلومات الدولية

www.arab-ewriters.com
www.wikimapia.org
www.alwaraq.net
www.wikimapia.org
www.arab-ewriters.com